ملامح النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري

د. أمل بنت راشد بن إبراهيم الخليفة
قسم أصول التربية – كلية التربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ملامح النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري

د. أمل بنت راشد بن إبراهيم الخليفة
قسم أصول التربية– كلية التربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تاريخ تقديم البحث: ١٧/ ١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث:٢٦/ ٣/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة الحالية في تسليط الضوء على ملامح النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري عبر الكشف عن أبرز ملامح مجتمع ذلك القرن من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتوصل إلى المؤسسات التعليمية التربوية السائدة آنذاك وما يجري فيها من ممارسات، والتعرف على الجهود العلمية لعلماء التربية ومكانتهم المالية والاجتماعية مع التوصل إلى أبرز مميزات الفكر التربوي في ذلك القرن. استخدمت الدراسة الحالية المنهج التاريخي والمنهج الوصفي الوثائقي. توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها: أنه بالرغم من تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القرن الرابع الهجري إلا أن الحالة الثقافية العامة كانت في قمة الازدهار الفكري. وأن ذلك القرن قد شهد تطورا وتعددا في المؤسسات التعليمية التربوية السائدة. ومن النتائج أيضا أن الفكر التربوي في ذلك القرن ظهر مستقلا بذاته، وذلك على يد مجموعة من علماء التربية كابن الجزار، والعامري، والنفزاوي، والقابسي وابن مسكويه. وارتبطت مكانة العلماء الاجتماعية والمالية بوظائفهم. أما عن أبرز مميزات الفكر التربوي فهي كون الثقافة قسمة شائعة بين الناس بمختلف أعراقهم وأجناسهم، وظهور اتجاه نحو التخصص التربوي والمهني، وأن الفكر التربوي اتسم بالشمول في نظرته للإنسان، وبالوظيفية والمرونة، وأن المسلمين نفذوا مبادئ مثالية كثيرة هي من أساسيات التربية الإسلامية في ذلك القرن. كذلك امتاز ذلك القرن بالاهتمام بتكوين الشخصية العلمية، وقضية الفروق الفردية. ونال البحث العلمي في ذلك القرن دعم الخلفاء والوزراء.

الكلمات المفتاحية: التربية الإسلامية – تاريخ التربية الإسلامية – النظام التربوي الإسلامي – القرن الرابع الهجري.

The features of the Islamic educational system in the 4th century of Hegira

Dr. Amal Rashed Alkhalifh
Department of educational principles- Faculty of Education
Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract:

The objectives of the current study was to shed light on the features of the Islamic educational system in the 4th century of Hegira by revealing the most important features of the political, economic ،social and cultural aspect of the community. It was also to find out the learning educational institutions and the practice at that time; to identify the scientific efforts of the educational scholars and their financial and social position; and highlight the characteristics of the educational thought. The study used historical descriptive and documentation methods. The most significant findings stated that despite the political ،economic and social deterioration in the 4th century of Hegira ،but the general cultural aspect was at the top of the thought progress. That century witnessed development and diversification in the learning educational institutions. The findings showed that the educational thought in the 4th century of Hegira was self-independent; and the most key scholars of education were Ibn Algazar ،Al-amari ،Al-nefzawi ،Al-qabasi and Ibn Masqaway. The social and financial position of scholars associated with their functions. The most significant advantages of the educational thought attributed to the fact that culture was commonly spread between different ethnic people; the educational thought was comprehensive towards human-being and flexible functions. The Muslims established ideal principles which are the essentials of Islamic education in that century. The Holy Qur'an is interested in developing scientific person and individual differences; and the scientific research was supported by Khulfa' (Governers) and ministers.

key words: Islamic education, The Islamic educational system, The 4th century of Hegira.

المقدمة:

إن دراسة تاريخ التربية الإسلامية في العصور المختلفة له أهمية كبرى؛ حيث أنه يعد جانبا مهما من جوانب التربية بمفهومها الشامل الذي يشمل تاريخ التربية، وتاريخ الفكر التربوي، وتاريخ النظم التربوية، وتاريخ المؤسسات التربوية، وتاريخ الممارسات والتطبيقات التربوية والعوامل المؤثرة في التربية. كما أن التعرف على نظام التربية وملامحه في تلك العصور يقصد منه الاستفادة والوصول إلى معرفة حقيقية بالنفس والتراث التربوي. ولاشك بأن النظام التربوي هو أحد الأنظمة الاجتماعية المهمة والأكثر حاجة في المجتمع؛ باعتباره المصنع والأساس الذي يقوم ببناء الأجيال، ونجاح هذا النظام أو فشله يعني بالضرورة النجاح أو الفشل لمؤسسات المجتمع ونظمه الأخرى (محمد،٢٠١٤م، ص١٨).

وتأتي دراسة النظام التربوي في عصر من العصور الإسلامية استجابة للدعوات الصادرة من علماء المسلمين بضرورة توجيه تاريخ التربية الإسلامية توجيها إسلاميا ينبثق عن التصور الإسلامي المبني على العقيدة الإسلامية الصحيحة عن الخالق عز وجل والكون والإنسان والحياة (الحربي،١٤١٧هـ، ص٢٩)؛ وذلك حماية للتاريخ التربوي الإسلامي من التشويه والتزييف والتحريف والتفسير الخاطئ لأحداثه ومجرياته. كما أن هناك حاجة لدراسة النظام التربوي الإسلامي في العصور السابقة لإيجاد أنظمة تربوية إسلامية تنطلق من التصور الإسلامي خاصة أن النظم والمؤسسات التربوية التي أنشئت

في الأقطار العربية والإسلامية على النمط الأوروبي والأمريكي مازالت مغتربة ثقافيا ومعرفيا (الكيلاني، ٢٠١٠م، ص٢).

ويعد النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري نظاما تربويا متكاملا، حيث له فلسفته، ومؤسساته، وتمويله، ومناهجه، وطرقه، ومدرسوه وطلابه. لقد تميز هذا القرن بالنضج الفكري، حيث شهد تطورا كبيرا في الحركة العلمية، وكثرت مجالس العلم، وانتقلت الترجمة إلى طور الإضافة والشرح، وظهرت الجماعات العلمية، وخطط التصنيف، وتطورت المؤسسات التعليمية، وتنافست الدويلات المنقسمة عن الدولة العباسية فيما بينها في تزيين بلدانهم بالعلوم والآداب، فاستقدموا لذلك العلماء ورغبوهم بالهبات الوافرة والعطايا الجليلة على التدريس والتأليف، وشيدوا معاهد العلم لنشره، فالحمدانيون وعالمهم سيف الدولة الحمداني الذي لم يجتمع ببابه بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من العلماء والفلاسفة والشعراء، وكذا فعل البويهيون الذي استوزروا أجل العلماء والأدباء كالوزير المهلبي والصاحب بن عباد وغيرهم، وكذا فعل السامانيون ببخارى والأمويون في الأندلس إلى غير ذلك من دويلات. فطالب العلم يدرس في كل بلد يحل فيه، ويتمتع بكل ما أرصد في معاهد البلد لطلاب العلم من غير تمييز، فالبلاد بلاد كل عالم ومتعلم، لا حدود ولا حواجز، بالإضافة إلى رباط اللغة العربية الذي يجمعهم(الديوه جي، ١٤٠٩هـ، ص ص ٢٢٢-٢٢٣). ويزيد من قيمة المعرفة بذلك القرن أنه يشبه العصر الحاضر في بعض جوانبه خصوصا من حيث نشاط بعض

التيارات الفكرية والانفتاح الثقافي مما يدفع للقول بضرورة أخذ الدروس والعبر من العصور السابقة.

مشكلة الدراسة:

واكب ظهور النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري فترة الازدهار العلمي والثقافي، وإن كان هناك ضعفا في النواحي السياسية. وتزيد دراسة النظام التربوي الإسلامي في ذلك القرن من معرفة المربين والمتخصصين بشؤون التربية وأحوال التعليم، وتعصمهم من الوقوع في الخطأ، وتحفز هممهم نحو الإبداع والابتكار كما فعل العلماء السابقون.

وتعطي الدراسة الحالية صورة للتطورات العلمية والتعليمية في بلاد المسلمين في تلك الفترة المزدهرة علميا، حيث اهتم المسلمون بالعلم والتعليم؛ فنتج عن ذلك حركة علمية ملموسة ونظام تربوي متكامل ظهر في مؤسسات تعليمية، ومناهج دراسية، وطرق تدريس، ومعلمون أفذاذ، ومتعلمون مخلصون وخلفاء داعمون لكل تلك النهضة العلمية الحضارية. ومما يؤكد على أهمية ذلك القرن وغيره من قرون الازدهار ما ذكره عدد من المستشرقين ومنهم على سبيل المثال ديورَانت(Durant, 1988) حيث أكد على استمرار الإسلام خمسة قرون من عام ٧٠٠ إلى عام ١٢٠٠ يتزعم العالم كله في القوة، والنظام، وجميع الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والبحث العلمي، والعلوم، والطب، والفلسفة(ص٣٨٢). وتدور الدراسة الحالية في عدة محاور أساسية للكشف

عن الملامح التربوية لهذا القرن. وتتضح هذه المحاور في عدة تساؤلات وهي على النحو الآتي:

١- ما أبرز ملامح مجتمع القرن الرابع الهجري؟

٢- ما المؤسسات التعليمية التربوية السائدة في القرن الرابع الهجري؟

٣- ما الجهود العلمية لعلماء التربية في القرن الرابع الهجري وما مكانتهم المالية والاجتماعية؟

٤- ما أبرز مميزات الفكر التربوي في القرن الرابع الهجري؟

أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة الحالية في تسليط الضوء على ملامح النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري من خلال الآتي:

١- الكشف عن أبرز ملامح مجتمع القرن الرابع الهجري من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٢- التوصل إلى المؤسسات التعليمية التربوية السائدة في القرن الرابع الهجري وما يجري فيها من ممارسات.

٣- التعرف على الجهود العلمية لعلماء التربية في القرن الرابع الهجري ومكانتهم المالية والاجتماعية.

٤- التوصل إلى أبرز مميزات الفكر التربوي في القرن الرابع الهجري.

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة الحالية أهميتها من الآتي:

١. أهمية الكتابة في تاريخ التربية الإسلامية في العصور الإسلامية، ورصد ما شهدته من تقدم أو تأخر على المستوى الحضاري آنذاك، واستخلاص أهم النتائج من ذلك، حيث أن هذا النوع من الدراسات بإمكانه أن يقدم للباحثين المعاصرين أفضل السبل لتحقيق النهضة العلمية التربوية.

٢. أهمية القرن الرابع الهجري، حيث أنه زخر بالعديد من الانجازات العلمية والعلماء الجهابذة.

٣. لعل الدراسة الحالية تسهم في تشكيل لبنة من لبنات النظرية التربوية الإسلامية عبر ما توصلت إليه من نتائج تتعلق بالنظام التربوي الإسلامي في تلك الفترة.

٤. يمكن أن تسهم الدراسة الحالية في عملية توجيه تاريخ التربية توجيها إسلاميا.

٥. يضاف إلى ذلك أهمية عملية تتمثل فيما يمكن أن تتمخض عنه الدراسة من حقائق حول النظام التربوي في القرن الرابع الهجري يستفاد منها في محتوى مقررات تاريخ التربية الإسلامية وتاريخ الفكر التربوي في كليات التربية.

٦. لعل الدراسة الحالية تسهم في مساعدة القائمين على المؤسسات التعليمية التربوية في تطويرها وتطوير ما يقدم فيها من مناهج، وطرق تدريس، وإدارة، وعلاقات بين معلمين ومتعلمين وطرق تمويل وغير ذلك.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على دراسة ملامح النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري فقط دون غيره من القرون، وذلك من حيث عرض أبرز ملامح مجتمع القرن الرابع الهجري من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والكشف عن المؤسسات التعليمية التربوية السائدة آنذاك، والجهود العلمية لعلماء التربية في ذلك القرن، ومكانتهم المالية والاجتماعية، وأخيرا عرض أبرز مميزات الفكر التربوي في ذلك القرن.

الحدود الزمانية: اقتصرت الدراسة على دراسة ملامح النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري الذي يبدأ من سنة (٣٠١ هـ) إلى سنة (٤٠٠هـ).

مصطلحات الدراسة:

النظام التربوي الإسلامي: هو مقومات العملية التربوية والتعليمية وعناصرها اللازمة لتحقيق التنمية الشاملة للفرد والمجتمع في جانبها التربوي (البلوشي،٢٠١٣م، ص٩). ويقصد به في هذه الدراسة مجموعة من المكونات التي يقوم عليها النظام كالسياسات واللوائح التنظيمية التي تنظم شؤون التعليم في المؤسسات التربوية والتعليمية التي تستمد أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كما يشمل النظام المناهج التعليمية، والمعلمين، والمتعلمين، والإدارة التربوية، وأماكن التعلم وتمويل التعليم في القرن الرابع الهجري.

القرن الرابع الهجري: هو الفترة الزمنية الممتدة من سنة (٣٠١ هـ) إلى سنة (٤٠٠هـ).

الدراسات السابقة:

كان وما يزال تاريخ التربية ومؤسساتها محل اهتمام من قبل بعض الباحثين منذ وقت مبكر نسبيا، ومن أوائل هؤلاء الذين عنوا عناية واضحة بدراسة هذا التاريخ في جانب أو أكثر من جوانبه شلبي (١٩٨٢م) في كتابه بعنوان:" التربية الإسلامية – نظمها، فلسفتها، تاريخها"، وهو في الأصل رسالة دكتوراة قدمها إلى جامعة كامبردج حوالي عام ١٩٥٠م؛ وهي دراسة علمية تمت طباعتها بطبعات عديدة، وهدفت إلى الكشف عن أمكنة التعليم والمدرسين والتلاميذ ورعاة العلم من الخلفاء مع الكشف عن النظم التعليمية بمصر في العهد الفاطمي. وكان من أبرز نتائج الدراسة تنوع أمكنة التعليم ما بين الكتاتيب والحوانيت ومنازل العلماء والصالونات الأدبية والمساجد وانتهاء بالمدراس. إن المسلمين اعتنوا بتلقي العلم عن المدرسين عناية ملحوظة وأن هناك اختلافا في المستوى المادي والاجتماعي للمدرسين. كما أكدت الدراسة على ارتباط النهضة العلمية ارتباطا وثيقا ببعض الخلفاء والوزراء الذين دعموا العلم وأهله. وأجرت أبيض(١٩٨٩م) دراسة بعنوان: "مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري". هدفت الدراسة إلى الكشف عن المؤسسات السائدة في ذلك العصر وما يتعلق بها من أهداف وتنظيمات وتمويلها وإدارتها وما يجري فيها من أنشطة تربوية. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي. من أبرز نتائج الدراسة أن المؤسسات التربوية هي مؤسسات اجتماعية؛ ولذا تتأثر بظروف المجتمع المحيطة بها. أن المؤسسات التربوية العربية في الشام قد اتخذت مسارات متميزة في نشأتها وألوان مختلفة في تنظيمها عما

كانت عليه في مناطق أخرى من العالم الإسلامي. أن أبرز المؤسسات التربوية التي كان يرتادها عامة أهل الشام هي: المساجد والكتاتيب وبيوت الشيوخ والحوانيت والربط، في حين كان الخاصة كالخلفاء والأمراء يدور في أروقة قصورهم نوعان من النشاط هما التأديب للأبناء والمجالس. ومن النتائج أيضا أن القرن الرابع الهجري شهد إنشاء المكتبات العامة لاستقبال الكتب من العامة والخاصة على السواء. من الدراسات الحديثة دراسة الربابعة (٢٠١٠م) وهي بعنوان: "المنهاج التربوي في مراحل التعليم الأولى في القرنين الرابع والخامس الهجريين". هدفت الدراسة إلى الكشف عن واقع المنهاج التربوي في مراحل التعليم الأولى في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وذلك من خلال معرفة الأحوال السائدة آنذاك وأثرها في المسيرة العلمية، وعن مفهوم المنهاج التربوي الإسلامي وأهميته وعناصره، وعن واقع مراحل التعليم الأولى ومناهجها مع التعرف على التطبيقات التربوية التي يمكن الاستفادة منها في الواقع المعاصر. استخدم الباحث المنهج التاريخي والوصفي. وكان من أبرز نتائج الدراسة تميز محتوى المنهاج التربوي بالشمول والتكامل، فتضمن مختلف العلوم مع التركيز على العلوم الدينية. تعدد أنواع وأهداف التعليم عند الطلبة في القرنين الرابع والخامس الهجريين. أنه لم يكن هناك تقسيما واضحا لمراحل التعليم آنذاك، وأن عناصر المنهاج التربوي آنذاك لا تختلف عن عناصر المنهاج التربوي المعاصر إلا في المادة المطروحة وطريقة التنفيذ.

التعقيب على الدراسات السابقة: تشترك الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في تناولها لموضوع المؤسسات التربوية والتعليمية، إلا أنها

تختلف عنها في بعض الأمور فمثلا اختلفت الدراسة الحالية عن دراسة شلبي(١٩٨٢م) التي غطت قرون متعددة بشكل عام في حين اختصت الدراسة الحالية بالقرن الرابع الهجري، واختلفت الدراسة الحالية عن دراسة ملكة أبيض(١٩٨٩م) التي غطت فترة زمنية محدودة من القرن الرابع الهجري وليس جميعه كما في الدراسة الحالية. وكذلك في كونها اختصت بالمؤسسات التربوية في بلاد الشام دون غيرها من المناطق في حين أن الدراسة الحالية كشفت عن المؤسسات التربوية في عدة مناطق من البلاد الإسلامية. كذلك اختلفت الدراسة الحالية عن دراسة الربابعة (٢٠١٠م) في تركيزها على المنهاج التربوي مفهومه وأهميته وإن كانت الدراسة الحالية قد استفادت منها في التعرف على مراحل التعليم، والمحتوى المقدم وطرق التدريس السائدة آنذاك. فقد جاءت الدراسة الحالية لتضيف بعدا زمانيا ومكانيا أبعد مما تناولته الدراسات السابقة وهو التركيز على الجوانب التربوية في القرن الرابع كله وتغطية غالبية مناطق الدولة الإسلامية بالإضافة إلى طرح بعض المحاور التي لم تشر إليها تلك الدراسات. لقد استفادت الباحثة من الدراسات السابقة فيما يتعلق بمنهجيتها، وكيفية عرض المادة العلمية في ثنايا الدراسة، مع الاستفادة من الاشارات المتعلقة بالمؤسسات التعليمية وما يجري فيها من أنشطة تربوية.

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة الحالية المنهج التاريخي، وذلك فيما يتعلق بالأحداث التاريخية ذات الدلالة التربوية؛ ومراجعتها في مضانها للوصول إلى الحقائق التاريخية المرجوة منها، كذلك استخدمت الدراسة المنهج الوصفي الوثائقي من أجل دراسة وتوجيه النصوص ذات العلاقة بملامح

النظام التربوي الإسلامي في القرن الرابع الهجري، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية لبعض المربين المسلمين والدراسات الحديثة.

مباحث الدراسة: لقد قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة شملت النتائج والتوصيات. أما مباحث الدراسة فالأول منها كان يدور حول ملامح مجتمع القرن الرابع الهجري وفيه تم التطرق إلى الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحالة الثقافية. وكان المبحث الثاني يدور حول المؤسسات التعليمية في القرن الرابع الهجري وتم تقسيمه إلى ستة مطالب وهي: أنواع المؤسسات التعليمية السائدة آنذاك، ومراحل التعليم، والمناهج التعليمية، وطرق التدريس، والمتعلمون في القرن الرابع الهجري، وإدارة التعليم وتمويله. أما المبحث الثالث فكان عن الجهود العلمية لعلماء التربية في القرن الرابع الهجري ومكانتهم المالية والاجتماعية، والمبحث الرابع فهو عن أبرز مميزات الفكر التربوي في القرن الرابع الهجري. ويمكن عرض تلك المباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: أبرز ملامح مجتمع القرن الرابع الهجري:

تتمثل أهمية دراسة العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي سادت في عصر من العصور، في أنها تساعد في التعرف على العوامل والقوى المؤثرة في النظام التربوي في ذلك العصر، حيث أن أية نظام تربوي هو نتاج للعديد من تلك العوامل، والتي تميز النظام التربوي في زمن معين عن غيره. ومن تلك العوامل المؤثرة في النظام التربوي في القرن الرابع الهجري الآتي:

١- الحالة السياسية: لقد تعمقت ظاهرة التدهور السياسي للخلافة الإسلامية في هذا القرن، وأصبحت دويلات متناثرة، وانتشرت الفوضى وذاعت الفتنة والاضطراب، وتم العبث بسلطان الخلفاء العباسيين والتحكم بمصائرهم على يد أمراء الأمراء والجنود الأتراك، بالإضافة إلى ثورات العامة في المدن، كذلك سيطرة البويهيين وتغلبهم على الأتراك سنة(٣٣٤هـ)، وهؤلاء كانوا من الشيعة(أحمد، ٢٠٠٤م، ص ١٩).

ولقد تتابع عدد من الخلفاء العباسيين في هذا القرن على أمر الحكم، فابتدأه المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ)، ثم القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ)، ثم الراضي بالله (٣٢٢- ٣٢٩هـ)، ثم المتقي لله (٣٢٩- ٣٣٣هـ)، ثم المستكفي بالله (٣٣٣- ٣٣٤هـ)، ثم المطيع لله (٣٣٤- ٣٦٣هـ)، ثم الطائع لله (٣٦٣- ٣٨١هـ)، وأخيرا القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ) (السيوطي، ١٩٧٧م، ص ص ١٥٦-١٧٠). ووجد في التاريخ السياسي لهذا القرن أن حركات الجند طالبوا بأرزاقهم، وإلا خلعوا الخلفاء وولوا غيرهم، وخروج الأخ على أخيه، وزيادة نفوذ الأعاجم من ترك وفرس. كذلك مما يلفت النظر ولاية المقتدر للحكم وكان عمره(١٣) سنة، فلم يكن مؤهلا لضبط أمور الحكم؛ ولذا ظهر تسلط أمه واسمها شغب، حيث تدخلت بشؤون الحكم، وكذا قهرمانتها ثمل وغريب الخال وهو خال الخليفة المقتدر(السيوطي، ١٩٧٧م، ص ١٥٦). واستبدوا بالأمور والأموال مما أدى لفراغ الخزينة. ولعل هذا الوضع دفع إلى ثورة القرامطة مرة أخرى سنة(٣١١هـ)، وإحراقهم الحرائق في البصرة، وكانوا قد ظهروا في القرن السابق سنة(٢٧٨هـ)، كل هذه الأوضاع

هيأت للبويهيين فرض سيطرتهم في بغداد، مما أدى إلى ازدياد الأمور سوءا، فقد عزلوا الخلفاء وسملوا أعين بعضهم وحددوا نفقة الخليفة اليومية ثم قطعوها عنه(معتوق، ١٤١٨هـ، ص ص٣٠- ٣٣). وفي سنة(٣١٧هـ) أخذ القرامطة الحجر الأسود لبلادهم فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة، حتى ردوه في سنة(٣٣٩هـ). وكانوا قد قتلوا من الحجاج خلقا كثيرا، وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، وهو يقول: أنا الله وبالله أنا أنا أخلق الخلق(ابن كثير، ١٤٠٨هـ، جـ ١١، ص ١٨٢). أما الشام فقد خضعت لسيطرة دويلات ثلاث وهي الحمدانية والإخشيدية والفاطمية(أحمد، ٢٠٠٤م، ص ٢٣). وخضعت بلاد فارس لعماد الدين بويه وينازعه في ذلك وشمكير، وكانت بلاد إفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي، وخراسان وبلاد ما وراء النهر بيد السامانيين، والبحرين وهجر بيد القرامطة(ابن كثير، ١٤٠٨هـ، ص ٢٠٩). وفي اليمن كانت دولة بني طباطبا العلوية الحسنية التي قامت في القرن الثاني وانتهت في القرن الرابع(السيوطي، ١٩٧٧م، ص ٢١٩).

٢- الحالة الاقتصادية: كانت هذه الحال على قدر كبير من السوء والاضطراب، ورغم تعدد موارد الخلافة العباسية، إلا أن الثروة عموما لم تكن موزعة توزيعا عادلا، حتى أنه وجدت الطبقات فهذه طبقة ممتازة، وتلك وسطى، وبعدهما فقر مدقع. إضافة إلى ذلك سوء المواسم الزراعية مما جعل الأمور تتفاقم حتى هاج العامة بسبب غلاء الأسعار سنة(٣٠٨هـ)، وهاجموا

صاحب الشرطة، وحرقوا جسورا كثيرة، فأمر الخليفة بقتال العامة، وخرج القرامطة، وأفسدوا ونهبوا الأموال وسرقوا حتى الحجيج، واستمر هذا الحال من الفوضى ببغداد، فتختل أسواقها، وتخرب أجزاؤها، وهكذا غلاء فشغب فقتال بين العامة والجند حتى اختلت الدولة العباسية (جمال الدين، ٢٠٠٢ م، ص ص٥٠- ٥٣)، (معتوق، ١٤١٨هـ، ص ٣٣)، (ابن كثير، ١٤٠٨هـ، ص ١٥٠).

٣- الحالة الاجتماعية: أدى انتشار التفاوت الطبقي بين الناس إلى انتشار الفساد الاجتماعي، فقد ساءت أحوال الناس واضطربت أمورهم، وانتشر الفقر بين العامة وحتى العلماء، فقد عرف منهم من كان فقيرا بحاجة ماسة إلى رغيف كما هو حال أبو حيان التوحيدي(ت ٤٢١ هـ)، ومما يؤيد فساد أحوال بعض العلماء وفقرهم في ذلك العصر لجوء عدد منهم لمهنة الوراقة ونسخ الكتب، ولكن لا يعني هذا عدم وجود علماء أغنياء ممن تقربوا للحكام أو ممن ارتحلوا إلى حواضر الدويلات الجديدة. كذلك فإن من الظواهر الشائعة في ذلك العصر ما عرف بمجالس الشراب رغم تحريم الإسلام لها، حيث امتلأت بغداد بالحانات، وكانت للجواري بيوت معدة لسماع الغناء وغير ذلك. كذلك فإنه نتيجة للبطالة وشيوع الفقر والحاجة بين العامة في بعض المدن وخاصة بغداد، فشا أمران متناقضان بين الناس هما: تنامي التصوف، فالفشل في الحياة قد يسلم صاحبه للزهد وإقناع النفس بأن نعيم الدنيا زائل، ولقد عمل البويهيون على إشاعة التصوف؛ وذلك لوجود علاقة وثيقة بين التشيع والتصوف خصوصا في مسألة الإمامة، وأنها لعلي رضي الله

عنه. أما الأمر الآخر فهو ما شاع من لصوص سموا بالعيارين أو الشطار، ولقد تجول هؤلاء في الأسواق بحثا عن الرزق بواسطة السلب والنهب، وتمادى هؤلاء واستغلوا الوضع السياسي المتفاقم بين السنة والشيعة ودعم البويهيين للشيعة (معتوق، ١٤١٨هـ، ص ص٢٠٠، ٣٨٦)، (جمال الدين، ٢٠٠٢م، ص٥٦). كما انتشر الدجل والتخريف؛ بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، كذلك انتشر تعلق الناس بالأسباب المتوهمة في الحصول على الغنى لعجزهم عن تحصيله بالوسائل المعقولة، فكان الاتجاه إلى التنجيم والانصراف إلى الكيمياء التي تقلب النحاس والقصدير ذهبا، والاعتقاد بالسحر والطلسمات (أمين،١٩٨٢م، ص ٣٢). لقد ساد التنوع السكانيفي ذلك القرن، فقد عاش العرب والفرس والأتراك والديلم والأكراد والروم جنبا لجنب، إلى جانب اليهود والنصارى، ولقد ظلت العصبيات موجودة رغم نهي الإسلام عنها، وإن كان لهذا التنوع فائدة في ميدان العلوم حيث أن كل فئة قدمت ما لديها.

٤- الحياة الثقافية: لقد كان القرن الرابع الهجري بحق عصر النهضة العلمية في الإسلام، وقمة الرقي العقلي والنضج، بالرغم من الوضع السياسي المتمزق. بل رأى البعض أن هذا الوضع ربما هو الذي دفع باتجاه رقي الحياة الثقافية ونهضتها، وذلك أن العلماء لما رأوا سوء الأحوال السياسية وظلمها واضطرابها كرهوها وانصرفوا عنها لميدان العلم (أمين، ١٩٨٢م، ص ٢٥٩). ولعل أبرز ملامح الحياة الثقافية في ذلك القرن الآتي:

– بروز الصراع المذهبي بين أتباع المذاهب الفقهية، وبينهم وبين الفرق الأخرى كالشيعة وأهل الكلام، ولقد صاحب ذلك التعصب بمذهب دون آخر، مما قد يدفع الناس لما لا يرتضيه الدين(ابن كثير،١٤٠٨هـ، ص ص ٢٦٤، ٢٧٦).

– ظهور الدعاوي الدينية المنحرفة، فقد ظهر من يدعي حلول روح الإله فيه، كما فعل الحلاج الذي انتهى به الأمر لضرب عنقه سنة(٣٠٩هـ)، وثلاثة من أتباعه رفضوا العودة للحق، كذلك أحرقت كتبه وكتب كثير من الزنادقة(ابن الأثير، ١٣٥٣هـ، ص ص ١٧٦-١٨١).

– الازدهار الثقافي بالرغم من التمزق السياسي، الذي صار سمتا للعالم الإسلامي منذ ظهور الدويلات وضياع الوحدة السياسية، إلا أن الحركة الفكرية لم تتوقف، بل كان تنافس تلك الدويلات مبعث ازدهار للحركة الفكرية، خصوصا في القرنين الثالث والرابع على عكس دويلات القرن الخامس الهجري التي أكدت على النواحي السياسية والعسكرية بالدرجة الأولى، وكان دورها ضئيلا في تشجيع الحركة الفكرية، وهنا لا يمكن أن ينكر منصف ما للقرن الخامس من دور في ازدهار العلوم الشرعية من خلال المدارس النظامية، واستمرار الحركة الفكرية، إلا أنها لم تحافظ على مستواها الذي كان في القرن الرابع الهجري. من حيث الابتكار، وكثرة الإنتاج وتنوعه، بل أصبح الاتجاه الفكري في القرن الخامس يؤكد على إعادة تنظيم المادة التي احتوتها القرون السابقة بشكل يجعلها أكثر استيعابا. وهذا بداية الاتجاه نحو الموسوعات التاريخية والأدبية والحديثية(العمري، ١٤٠٩هـ، ص ٣٢٧-

٣٢٨). ولعل من أسباب هذا الازدهار الثقافي تأثر النهضة الثقافية بالعناصر المكونة للأمة الإسلامية من أتراك وفرس وهنود وعرب وغيرهم، إلى جانب الاحتكاك بين المسلمين واليهود والنصارى، وهؤلاء تعاونوا حينا وتجادلوا حينا. ولاشك أن هذا أثر في رقي العلوم، فأخذ غير العربي عن العربي والمسلم عن غيره وهكذا. كذلك تأثرت النهضة الثقافية بالاحتكاك بين أتباع المذاهب الفقهية، والاتجاهات الفكرية المتعددة، وهذا شجع على ازدهار حركة التأليف والمناظرة؛ ليثبت كل فريق صحة ما ذهب إليه (جمال الدين،٢٠٠٢م، ص ٦٣).

– استمرار حركة الترجمة ونتائج الانفتاح الثقافي: عرف المسلمون علوم غيرهم عن طريق ترجمتها للعربية، وقد كان القرن الثالث الهجري عصرا فيه بلغت حركة الترجمة ذروتها، ومع ذلك استمرت في القرن الرابع الهجري، الذي انتقل فيه المسلمون من طور الجمع والتحصيل– كما في القرنين السابقين– إلى طور الإنتاج الشخصي والابتكار والإضافة، فقد أخذ العلماء يفحصون آراء قدماء اليونان ويشرحونها ويصححون ما فيها من أخطاء، لا سيما بعد أن صارت اللغة العربية في مطلع هذا القرن لغة التعبير عن التفكير العلمي(أحمد، ١٤١١هـ، ص١٧). ومن مترجمي هذه الفترة متى بن يونس (لايعرف تاريخ وفاته)، سنان بن ثابت بن قرة (ت٣٦٣هـ)، أبو علي بن زرعة (ت٣٣١هـ) ويحيى بن عدي (٣٦٤هـ). وكان أكثر ما يترجم من كتب في هذا الدور الكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو، فضلا عن الكتب الهندسية والعلمية(علي،١٩٨٦هـ، ص٦٢).

وبرز الكثير من العلماء الذين شرحوا وعلقوا على ما تم ترجمته، وظهرت الأسر العلمية التي رعت الترجمة، ومن هذه الأسر التي امتدت جيلا بعد جيل أسرة ثابت بن قرة(ت٢٨٨هـ)، التي استمرت من القرن الثالث وحتى الرابع الهجري، فمن أفراد أسرة ثابت ابنه سنان(ت٣٣١هـ) وحفيده ثابت بن سنان(ت٣٦٥هـ)، كذلك من أسرة بختيشوع هناك جبرائيل، الذي اشتهر بالطب، وعاش في القرن الرابع الهجري(الجبوري، ١٩٩٨م، ص ص ١٦٤-١٦٥)، (حربي،٢٠١٠م، ص ص٢٨-٣٧). ولقد أثرت حركة الترجمة في مؤلفات بعض العلماء مثل: الحديث عن حقيقة النفس وعن فيضها الصادر من العقل الكلي، وعن فناء المادة وغير ذلك، ولذا نظر بعض العلماء من أهل السنة إلى هذه العلوم الوافدة في شيء من الريبة، مما دفع بعلماء آخرين إلى محاولة التوفيق بين الدين الإسلامي والفلسفة اليونانية الوافدة على وجه الخصوص(جمال الدين، ٢٠٠٢م،ص ص٦٧، ٦٩).

- ظهور الاتجاه التوفيقي في الفكر الإسلامي: فبعد ترجمة التراث اليوناني الفلسفي منه على وجه التحديد، ظهرت عدة مواقف منها: موقف الفلاسفة الذين يحاولون إخضاع المبادئ الدينية للآراء الأرسطية وغيرها، وموقف العلماء الذين يعارضون ذلك بشدة وخاصة المتكلمين، وموقف التوفيقيين بين الدين والفلسفة كالفارابي(ت ٣٣٩هـ) الذي تأثر به كثير من العلماء(شلبي، ١٩٨٦م، ص ص ١٣٩-١٤١). ولقد كرهت الأمة الإسلامية في القرن الرابع الهجري الاشتغال بعلوم الأوائل أو علوم العجم -كما يسمونها- ،ونظرت بريبة وشك لمن يشتغل فيها، وادخر الفقهاء والعامة للفلسفة

والفلاسفة جام غضبهم، وخاصة لأولئك الذين مزجوا الدين بالفلسفة اليونانية كإخوان الصفا، ولعل ما دعم تلك النظرة المريبة لتلك العلوم الوافدة ما شاع من زندقة استترت تحت ستار الفلسفة من أجل هدم الدين والدولة معا، كذلك ما صاحب تلك العلوم من مزاولة السحر والطلسمات إلى جانب علم التنجيم، مما زاد السخط على تلك العلوم وخاصة الفلسفة (جمال الدين، ٢٠٠٢م، ص ص ٦٩-٧٥). كذلك فإن محاولة المبالغة في التأويل من أجل التوفيق أدى إلى استعداء الناس للفلسفة، كذلك شجع كون القضايا الفقهية ومباحثها مثلا قريبة للناس، فرأوا الاستغناء عن الفلسفة، التي يرى أصحابها أنها تتطلب إدراكا أعلى من مستوى العامة (علي،١٤١٢هـ، ص ص ١٨١-١٨٢).

- ظهور الجماعات العلمية: تميزت الحياة الثقافية في هذا القرن بظهور تلك الجماعات في بغداد وغيرها من المدن المحيطة بها، وتتكون كل جماعة من مجموعة من العلماء تلتف حول أكثرهم علما وأغزرهم مادة ويؤلفون وحدة واحدة يكمل بعضهم بعضا، بحيث يتباحثون ويتناقشون فيما يعرض لهم من مسائل وأمور، ومثال ذلك: جماعة إخوان الصفا وخلان الوفاء، وهي جماعة سرية من العلماء والفلاسفة الذين اجتمعوا في البصرة وتعاهدوا على التماسك والتناصر والوفاء، وبخاصة في مجال العلوم التي هي الوسيلة لتطهير النفس، ورأوا أن الفلسفة وسيلتهم لتطهير الشريعة التي دنست بالجهالات - على حد زعمهم - حتى يصلوا لتطهير نفوسهم والصعود إلى ملكوت السماء، ولهم آراء كثيرة خالفوا فيها أهل السنة، وهذه الآراء موجودة في رسائلهم التي بلغ

عددها اثنين وخمسين رسالة(جمال الدين، ٢٠٠٢م). وهناك نوع آخر من الجماعات وهي جماعات علمية علنية مثل: جماعة العلماء الملتفون من كافة النحل والمشارب حول أبو سليمان محمد السجستاني(ت٣٨٠هـ) المعروف بالمنطقي. كذلك هناك جماعات لها اجتماعات في بيوت الأمراء والوزراء، لا يشهدها إلا الخاصة المقربون مثل: ما كان يجري في منزل أحد وزراء بني بويه(جمال الدين، ٢٠٠٢م، ص ص ٧٥-٧٧).

- كثرة ظهور خطط التصنيف: وهي ثمرة طبيعية للنهضة العلمية التي بلغت أوجها في هذا القرن، فألف الفارابي (ت٣٣٩هـ) كتابه إحصاء العلوم، وقصد فيه علما علما، ومعرفة ما يشتمل عليه كل علم وأجزاؤه وتفريعاته، كذلك وضع أبو بكر الرازي(ت٣٢٠هـ)، وابن النديم(ت٣٨٥هـ) الذي تناولت خطته لغات الأمم، كتب الشرائع المنزلة، النحويون، اللغويون، الإخباريون والنسابون، الشعر والشعراء، الكلام والمتكلمون، الفقه والفقهاء، المحدثون، الفلاسفة والعلوم القديمة، العزائم والسحر والشعوذة، الكيمائيون وإخوان الصفا. وكل هذه الخطط توضح خصوبة العقلية الإسلامية واتساع أفقها وعظم إسهام الحضارة الإسلامية في تاريخ الفكر التطبيقي(أحمد،٢٠٠٤م، ص ص ١٠١-١١١).

- تأسيس وإنماء المؤسسات العلمية والتعليمية بمختلف الأشكال الممكنة كالمساجد، المكتبات، البيمارستانات، والرباطات وغيرها.

- أوجدت العلمية طرقا متعددة للتلقين والتعليم وتداول المعارف كالرحلة والسماع والمناولة وغيرها.

– اهتمت الحضارة الإسلامية بتطوير أدوات ووسائل التعليم والكتابة والنشر، من وراقة ونسخ وخط وتجليد الكتب.

– وجود مجتمع معرفة حقيقي، ينتمي إليه كثير من الفاعلين والمهنيين، ويؤثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهناك أسواق، مؤسسات، وظائف، وصنائع ومهن متعددة، كالوراقين والمؤدبين، الناسخين وباعة الكتب، محافظي الخزائن، المترجمين، مدراء الأوقاف، دور الطلبة والصيادلة والأطباء، ومرتادي الأسواق، الندماء، الجلساء، أصحاب الحلقات، وتلاميذ العلماء، القضاة والوعاظ(تمورو، ١٤٢٩هـ، ص ٢١٩).

– ومما يلفت النظر في ذلك القرن وغيره الشخصية العلمية للعلماء، فقد تميزوا بحبهم للعلم والمثابرة على البحث العلمي والترفع عن الصغائر والاجتهاد في العمل والابتعاد عن الغرور والتمسك بالأمانة والزهد في المال والسلطان وهذه الصفات يرجع إليها الفضل في تفسير غزارة إنتاجهم، وأصالة بحوثهم، وتعدد تخصصاتهم، واتساع ثقافتهم ومعارفهم.

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية التربوية السائدة في القرن الرابع الهجري:

لقد تعددت هذه المؤسسات في ذلك القرن، وتعددت الأدوار المنوطة بها على امتداد رقعة البلاد الإسلامية، ولقد شكلت هذه المؤسسات الإسلامية تعبيرا جليا عن مساعي الجماعة لتحقيق هدف بعيد للتربية الإسلامية وهو نشر الدين الإسلامي، وتلبية الحاجات التربوية للمؤمنين، من خلال تفاعلها المؤثر مع الظروف المحيطة(أبيض، ١٩٨٩م، ص ص ١٠٧– ١٠٨). وهذا

يدل على مرونة وتطور تلك المؤسسات منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى قرون متأخرة. ولعل من المناسب عرض أنواع تلك المؤسسات وما يجري فيها من ممارسات كمراحل التعليم ومناهجه، وطرق التدريس، والمتعلمون في تلك المؤسسات، وكيفية إدارة وتمويل التعليم في ذلك القرن الزاهر، ولقد تم عرض كل ذلك عبر تقسيمه إلى عدة مطالب وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: أنواع المؤسسات التعليمية في القرن الرابع الهجري:

تعددت المؤسسات التعليمية في القرن الرابع الهجري، ومنها الآتي:

١- الكتاب: وهو أول مكان بعد البيت، ولقد زاد عدد الكتاتيب وعدد المعلمين فيها في القرن الثاني الهجري وما بعده من قرون، حتى صار بكل قرية كتاب أو أكثر. وكان الكتاب المكان الأول لتعليم الأطفال القرآن الكريم، والقراءة والكتابة والحساب، وقد ساهم الكثير من المسلمين في إنشاء الكتاتيب تقربا لله، ونشرا للتعليم بين الأغنياء والفقراء على السواء، تحقيقا لمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص، وكانت الكتاتيب تلحق بالمساجد حينا وتبعد عنها حينا آخر. ولم يقتصر الكتاب على تعليم الأطفال بالمجان، بل وأيضا كانت بعض الكتاتيب تقدم الطعام والكساء (الإبراشي، د-ت، ص٧٣-٧٤).

٢- المسجد والجامع: ولاشك بأن المسجد لعب دورا كبيرا في نشر العلم في المجتمع المسلم على مر القرون، فقد ارتبطت به الدعوة الإسلامية، كذلك فإن عدد هذه المساجد قد زاد على مر القرون، والمهم هنا الحديث عن

القرن الرابع الهجري، الذي بني فيه الجامع الأزهر في سنة(٣٦٠هـ)، على يد جوهر الصقلي في عهد المعز لدين الله الفاطمي، وقام ابن الخليفة العزيز بالله ببناء دار للفقهاء بجوار الجامع، وأجرى عليهم الأموال، وكان الفقهاء يجتمعون يوم الجمعة بالجامع، ويتحلقون حتى بعد صلاة العصر. كذلك بنى العزيز بالله جامعا كبيرا يعرف اليوم بجامع الحاكم، تم بناؤه سنة(٣٨٠هـ)، وقد تحلق فيه الفقهاء. وهناك جامع راشدة، وجامع المقدس، وجامع الجيزة الذي بني سنة (٣٥٠هـ)، وقد تم بناؤها في عهد الدولة الفاطمية بمصر(المقريزي، ١٩٩٨م، ص ص ٢١٣-٢١٤، ٢٢٢). ولم تجد الباحثة أية معلومات حول النشاط العلمي في الجوامع الثلاثة في كتاب المقريزي. أما بالنسبة للجامع الأزهر فقد استمر يؤدي دوره العلمي والتربوي دون منافس حتى نهاية القرن السادس الهجري، حين أسس صلاح الدين ومن بعده المدارس التي جذبت العلماء. وفي الشام كان مسجد عمرو بن العاص، الذي بلغت فيه الحلقات العلمية ما يقارب الـ (١١٠) حلقات، وذلك في منتصف القرن الرابع الهجري. وكذلك الحال في مساجد خراسان وقرطبة والقيروان وغيرها(أحمد، ١٤١١هـ، ص ٢١). بل أنه في مسجد الزهراء عقدت الكثير من الحلقات والدروس لعدد من العلماء المشرقيين، الذين استقبلهم عبد الرحمن الناصر وأجزل لهم العطاء(ريبيرا،١٩٩٤م، ص١١). وقد بلغت قرطبة مبلغا عظيما في عدد مساجدها حيث بلغت(٣٨٧٧) مسجدا، وقد كانت مراكز للتعليم، فلم تكن قد ظهرت المدارس

بعد(فكري،١٩٨٣م، ص١٨٨). إضافة لذلك ما كان قائما من مساجد في قرون سابقة، كجامع المنصور ببغداد الذي كان قبلة لأنظار الأساتذة والطلاب، وجامع الرصافة ومسجد البصرة وغيرها(أحمد،٢٠٠٤م، ص ص٥٦-٥٧). ومن الملاحظ أن التعليم في المساجد، لا يقتصر على تدريس العلوم الدينية، بل امتد ليشمل علوم اللغة والأدب وعلم الكلام ونحوه.

٣- البادية: كان لفشو اللحن في الحضر بعد اختلاط العرب بالأعاجم أثر في إرسال الأمراء أبنائهم للصحراء، وكذا رحل العلماء ليتعلموا اللغة في منبعها الأصيل(شلبي، ١٩٨٢م، ص ص ٩٦، ٩٩).

٤- منازل العلماء: لعبت دورا كبيرا في نشر العلم، فقد وقف الطلاب على أبواب العلماء ليسألوهم أو يسمعوا منهم، وكان بعض العلماء يلقي بعض الدروس في منزله، إلا أن إقامة الحلقات العلمية داخل المنازل كان استجابة للضرورة، إذ لم يعد المسلمون المنزل مكانا صالحا للتعليم العام، حيث أن للمنازل حرمتها وهدوءها، وهذا قد لا ينسجم مع ما تستدعيه حلقة الدرس من نشاط وحركة، ومع ذلك فإن تلك المنازل العلمية قد أسهمت بنشر الثقافة، وبخاصة قبل انتشار المدارس(شلبي، ١٩٨٢م، ص ص ٧٠-٧١). ومع تقديم التعليم في بيوت العلماء إلا أن ذلك لم يجعلها مؤسسة تعليمية بالمعنى الدقيق للكلمة بل شكلا من أشكال تخفيف الكلفة في المال والجهد اللذين يبذلان فيه، ومواجهة لبعض الظروف التي تحول دون انتقال المعلم من منزله لمكان آخر(أبيض، ١٩٨٩م، ص

١٤٦). ولقد انتشرت مجالس الحديث والفقه في بيوت العلماء في الشام في القرن الرابع الهجري، كمجلس القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن حذلم(ت ٣٤٧ هـ)، الذي كان له مجلس في داره يوم الجمعة يملي فيه(ابن منظور، ١٤٠٤هـ، ص ٩٢).

٥- المكتبات: كانت المكتبات في ذلك القرن على نوعين: مكتبات عامة، ومكتبات خاصة، فالأولى: أنشأتها الدولة ورجالاتها بالمساجد وغيرها، لتكون في متناول الدارسين فيها والوافدين إليها. كما أنشئت أحيانا كنواة لمعهد يستقبل الطلاب ليجدوا العلم فيه، ثم أنشئت متصلة بالمدارس عندما بدأت هذه الأخيرة بالظهور والانتشار ومن أشهرها: المكتبة الحيدرية بالنجف: نسبة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، صحيح أنه لا يعرف تاريخ إنشائها، لكن كثيرا من الوزراء والأمراء وأعيان الشيعة اهتموا بها منهم عضد الدولة البويهي(ت ٣٧٢ هـ). مكتبة ابن سوار بالبصرة: وهي لأبي علي بن سوار الكاتب من رجال عضد الدولة البويهي، وكان التدريس عنصرا هاما فيها. دار الحكمة بالقاهرة: أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة(٣٩٥هـ)، وكان يراد بها إزالة ما علق بالأذهان من مجد ببيت الحكمة في بغداد، وقد جمع لها من الكتب الشيء العظيم، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من أقلام ومحابر وورق، وجلس فيها القراء والفقهاء والمنجمون والأطباء وغيرهم. وقد بلغت خزائنها أربعين خزانة حوت كل خزانة على (١٨٠٠٠) كتاب. وقد كانت دار الحكمة بمثابة جامعة أو معهد عال، ولم تنتشر في البلاد

الإسلامية جميعها بل كانت في مصر وبغداد وبلاد فارس(شلبي، ١٩٨٢م، ص ص ١٨١، ١٨٥- ١٨٧)، (الإبراشي،د-ت، ص ص ٨٤ -٩٨). دار العلم أو خزانة الكتب لسابور: وقد أسسها أبو نصر سابور بن أردشير سنة(٣٨٣هـ)، وابتاع لها دارا بالكرخ، وبناها أحسن بناء، وسماها دار العلم، وأوقف عليها الأوقاف، فكانت مركزا ثقافيا للبحث والدراسة والمناظرات والمجادلات، يجتمع فيها الباحثون والمتناظرون والعلماء والأدباء، وقد عمل كثير من العلماء على وقف كتبهم عليها (الإبراشي، د-ت، ص ٩٩). بل أنها قد تكون أول مدرسة أوقفت على الفقهاء، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة (ابن كثير، ١٤٠٨هـ، ص٣٥٧). وهناك مكتبة علمية ضخمة أنشأها الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر، الذي تولى الخلافة سنة(٣٥٠هـ)، وكانت في القصر الملكي بمدينة الزهراء، واحتوت على ما يقارب(٤٠٠) ألف مجلد في شتى العلوم، جمعها من خلال عملائه في بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها، بهدف منافسة بني العباس في اقتناء الكتب، وسار على نهجه رجالات دولته، فأنشاؤا المكتبات ودور العلم في مختلف البلاد(أحمد، ١٤١١هـ، ص ص٢٦- ٢٧)، (بروكلمان،١٩٦٨م، ص٣٠٢).

والنوع الثاني من المكتبات: مكتبات خاصة أنشأها العلماء، فلم يكن منزل عالم من العلماء يخلو من مكتبة قيمة مثل: خزانة ابن حاجب النعمان(ت٣٥١هـ)، وكان من أدباء بغداد، وامتدح العلماء مكتبته، وكذلك خزانة كتب ابن الفرات(ت ٣٨٤هـ)، من أهل الحديث الثقات وكتب الكثير

بخطه. وكذا خزانة كتب الصولي(ت ٣٣٥هـ)، وكان أحد جامعي الكتب، وقد أهداه الراضي بعض الكتب، وقد سرقت مكتبته لاحقا(الجبوري، ١٩٩٨م، ص ص ٢٢١- ٢٢٣). وأيضا دار العلم بالموصل، التي أنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان في سنة(٣٣٣هـ)، وجعل بها خزانة للكتب، كانت تضم مؤلفات في شتى العلوم والمعارف، ثم أنه جعلها وقفا على جميع طلاب العلم، وكان يمد المعسر منهم بأوراق الكتابة اللازمة(أحمد، ١٤١١هـ، ص ٢٤). كذلك كان هناك خزائن الخلفاء والأمراء، التي يمكن القول بأنها خاصة وعامة بنفس الوقت، فلا يدخلها إلا من يشاء صاحبها من العلماء كخزانة الراضي(ت ٣٢٩هـ) التي كونها منذ صغره، وقد حوت بعض النفائس ومنها كتاب ورد من ملك الروم إلى الراضي يطلب منه الهدنة مدة سنة، مكتوب بالرومية بالذهب، والترجمة للعربية بالفضة. وخزانة العزيز بالله الفاطمي سنة(٣٤٤هـ) في مصر، واتخذ لها وزيرا نابها من الكتاب الحساب وهو يعقوب بن كلس الذي قرب العلماء للخليفة، وأجرى الأرزاق عليهم، واحتوت من الكتب الشيء الكثير، إضافة للخرائط والمخطوطات والمصاحف وغيرها. كذلك هناك خزانة كتب ببخارى للأمير نوح بن منصور الساماني(٣٨٧هـ) التي زارها ابن سيناء وأعجبته كثيرا. وخزانة سيف الدولة الحمداني(٣٥٦هـ) في حلب، وكان محبا للعلم والشعر، وكان يبذل المال للعلماء والأدباء، وفيها عشرة آلاف مجلد(الجبوري، ١٩٩٨م، ص ص ٢٠٠- ٢٠٢، ٢٠٧).

٦- حوانيت الوراقين: لقد كان لازدهار التأليف في العصر العباسي وازدهار الترجمة أثر في ظهور مهنة اشتق اسمها من الورق، فعرفت المهنة بالوراقة، ومتعاطوها هم الوراقون، وهذه المهنة لا تقتصر على نسخ الكتب، بل وتجليد الكتاب وتصحيحه ونشره بين الناس، وحتى بيع أدوات الكتابة كالورق والحبر والأقلام. ولقد ازدهرت هذه المهنة وبلغت أوجها في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وانتشرت حوانيت الوراقين في سائر الأمصار، وكان يجري فيها المناظرات وإلقاء الشعر، وكان يتردد عليها العلماء والشعراء ومنهم المتنبي(ت ٣٥٤هـ)، إذ كان يلازم الوراقين وينظر في الكتب، وكذلك أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ). ولقد كثر عدد هؤلاء الوراقون، وكان منهم من اشتهر بالأمانة والتقى، ومنهم غير ذلك، فدسوا الكثير من الروايات والأخبار الكاذبة ببعض الكتب(الجبوري، ١٩٩٨م، ص ص٥٦، ٩٥). والخلاصة، أنها كانت مراكز علمية، يجتمع بها العلماء للمناظرة والمناقشة ولشراء الكتب ونحوه، والعجيب أن أصحابها لم يكونوا مجرد تجار، بل هم في الغالب أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة، فإلى جانب اطلاعهم على الكتب كانت دكاكينهم تجذب العلماء الآخرين. ولم يقف النشاط العلمي على حوانيت الوراقين بل انتقل إلى المحال الأخرى التي تبيع غير الكتب فقد ذكر أن أبا بكر الصبغي(ت ٣٤٤هـ) كان يبيع الصبغ في حانوته، وهو من فقهاء الشافعية، وكان يجتمع إليه الحفاظ والمحدثون(شلبي، ١٩٨٢م، ص ص ٦٢-٦٦).

٧- التعليم الأولي في القصور: حيث يقوم المؤدبون بتأديب وتعليم أبناء الخلفاء والأمراء في قصورهم، وكان المنهج يتم إعداده بالاشتراك مع الأب؛ لإعدادهم لشغل المناصب الرئيسية في الدولة، ولقد كانت وظيفة المؤدب وظيفة جذابة، ومع ذلك أباها بعض العلماء(شلبي، ١٩٨٢م، ص ص ٥٨-٦١).

٨- الصالونات الأدبية: ظهرت بداية في العصر الأموي بشكل بسيط، وانتشرت رائعة غنية في عصر العباسيين. وقد تأثرت هذه الصالونات بالتقاليد والحضارات الأجنبية التي اقتبسها الخلفاء من الممالك التي خضعت لسلطانهم، ولم تكن الصالونات مفتوحة لكل الراغبين، إنما خاصة بفطاحل العلماء الذين كانوا يتلقون الدعوة من الخليفة نفسه، لتقام المناظرات والمناقشات بين العلماء في مختلف العلوم، ومن أمثلة ذلك: ما كان يدور في مجلس الوزير ابن الفرات الذي انعقد سنة(٣٢٦هـ)، واجتمع لديه أكثر من ستة عشر عالما من كبار العلماء للمناظرة(شلبي، ١٩٨٢م، ص ص ٧١-٩٦).

٩- الرباط: وهو نوعان: رباط الجهاد، وهو عبارة عن ثكنة عسكرية محصنة ذات صحن واسع تحيط به غرف، وقد يكون من طابق واحد أو اثنين، تعلوه صومعة مستديرة للأذان ولمراقبة السواحل اتقاءا للغارات البحرية الموجهة من الروم، وكان المرابطون في سبيل الله يقضون يومهم وليلهم في العمل والعبادة. ومن أعمالهم نسخ المصاحف وكتب الفقه والحديث ثم إعطائها لطلاب العلم مجانا، وأيضا صناعة الورق والحبر. وكان ممن يرابطون

العلماء وطلبة العلم وغيرهم، وكان في كل رباط مكتبة علمية(مرسي، ١٤٢٣هـ، ص ص ٣٠٣- ٣٠٤). ويقدر عدد العلماء الذين نشأوا أو أقاموا في أربطة الجهاد في الشام في القرن الرابع الهجري باثنين وأربعين شيخا هذا في ثغور الشام الشمالية، في حين زاد هذا العدد في الثغور الساحلية فارتفع إلى(١٢٧) شيخا، علما بأن هذه الأربطة قد ضعف دورها وظهر نوع آخر وهو ربط الزهاد والمتصوفة(أبيض، ١٩٨٩م،ص ص١٥٠-١٥١). وأما النوع الثاني من الرباط فهو رباط الزهاد والمتصوفة: فقد أنشئ ليكون مكانا خاصا بهم ينصرفون فيه عن الحياة الدنيا ويجاهدون الرغبات. وقد سميت بأربطة أو خوانق أو دويرة كما في الشام. وبالنسبة لإنشائها وتمويلها فقد كان من شأن الأفراد وذلك في نهاية القرن الرابع الهجري. وبالنسبة للنفقات الجارية على المقيمين فيها فقد كانت تغطى عن طريق الهبات على الأرجح أو عن طريق وقف آخر(أبيض، ١٩٨٩م،ص ص ١٥٤-١٥٥).

١٠- البيمارستانات: وهي كلمة فارسية، وتعني دار المرضى. وكانت أماكن لعلاج المرضى ودراسة الطب. وشهد القرن الرابع الهجري إنشاء العديد منها على امتداد الدولة الإسلامية، ولم يقتصر الأمر على الخلفاء بل تجاوزه إلى رجالات الدولة كالوزير علي بن عيسى الذي أقام بالحربية ببغداد بيمارستانا سنة(٣٠٢هـ) وأنفق عليه من ماله وعهد به لطبيبه سعيد بن يعقوب الدمشقي. كذلك فإن البيمارستان العضدي الذي شيده عضد الدولة البويهي في سنة(٣٦٨هـ) في بغداد يعد من أشهرها على الإطلاق، وكان لمعالجة المرضى وتدريس الطب كما فعل إبراهيم بن بكس الذي درس

صناعة الطب. وفي قرطبة كان ما يقارب الخمسين بيمارستان في منتصف هذا القرن، تفوقت على مثيلاتها في المشرق(أحمد، ١٤١١هـ، ص ص ١٧١-١٧٢)، (أبو النصر، ٢٠٠٢م، ص ص ٣٤-٣٥). أيضا هناك مساهمة للمرأة في ذلك القرن، حيث افتتح في سنة(٣٠٦هـ) بيمارستان السيدة أم المقتدر، وجلس فيه سنان بن ثابت وكانت نفقته في كل شهر ستمائة دينار(ابن كثير،١٤٠٨هـ، ص١٤٦).

١١- المدارس: وهنا تثار قضية هل المدارس ظهرت في هذا القرن أم في القرن الذي يليه حين ظهرت المدارس النظامية؟ ولاستجلاء هذه القضية فقد جمعت الباحثة ما استطاعت جمعه من كتابات حول هذا الأمر، ولذا يمكن تقسيم الآراء إلى رأيين هما: رأي من قال إنها ظهرت في عهد نظام الملك، الذي أنشأ المدرسة النظامية سنة(٤٥٩هـ)، ومن هؤلاء المقريزي(المقريزي، ١٩٩٨م، ج٣، ص٤٣٦)، الذي ذكر بأن المدارس مما حدث في الإسلام، وأنها لم تعرف إلا بعد سنة(٤٠٠هـ)، وأن أول مدرسة هي النظامية؛ لأنها قررت للفقهاء معاليم. وكذا ذهب شلبي الذي أفرد لها جزءا في كتابه(شلبي،١٩٨٢م، ص١١٦). ورأي آخر يرى أن المدارس نشأت قبل القرن الخامس، ثم اختلفوا في تحديد أول مدرسة أنشئت فقيل: أن أول استعمال لمصطلح المدرسة كان في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين، حيث ظهرت أول مدرسة وهي مدرسة الإمام أبي حفص الفقيه البخاري(ت٢١٧هـ)، وهو من الفقهاء الذين تزعموا الحركة الفكرية في مدينة بخارى (السامرائي،١٩٨٩م، ص ص٣٣٣-٣٣٤). وممن فصلوا في هذه

المسألة السامرائي وذكر عددا من المدارس ظهرت قبل المدرسة النظامية نقلها عن بعض الأئمة، واعتمد على عدة مصادر ككتاب السياق للفارسي، وكتاب تاريخ بيهق للبيهقي، وكتاب تاريخ بخارى لفامبيري، وكتاب منتخب السياق للصريفيني، ومن هذه المدارس:

– أنه في بداية القرن الرابع الهجري، ظهرت مدرسة فارجك إلا أنه لم يعرف مؤسسها. ومدرستان في نيسابور هما: مدرسة الإمام أبو الوليد حسان بن محمد النيسابوري(٣٤٩هـ)، ومدرسة الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي الشافعي(٣٥٤هـ)، وكانت مدارس أحادية المذهب. أما الحنفية فلهم مدرسة أنشئت أيام السلطان محمود الغزنوي، ودرس فيها الفقيه أبو صالح الحنفي سنة(٣٨٥هـ) حتى وفاته(٤٠٠هـ).

– وفي العقد الأخير من ذلك القرن، قام أبو علي الحسن السمرقندي(ت٣٩٥هـ)، بإنشاء مدرسة مستقلة سنة(٣٩٠هـ). وكذلك أنشأ أبو علي الحسن النيسابوري المعروف بالدقاق مدرسته سنة(٣٩١هـ). وفي سنة(٤٠٠هـ) أنشئت المدرسة الصاعدية، وهكذا توالت المدارس بالظهور في بداية القرن الخامس وقبل ظهور المدارس النظامية(السامرائي،١٩٨٩م، ص ص٣٣٦-٣٤١). وقد ذكر السامرائي بعض المدارس التي أشار إليها السبكي، وبالرجوع لكتاب السبكي وجدت الباحثة أنه ذكر ثلاث مدارس في نيسابور ضمن ترجمة الحسن الطوسي الملقب بنظام الملك وهي: المدرسة البيهقية قبل أن يولد نظام الملك الذي ولد سنة(٤٠٨هـ). والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا بناها الأمير نصر بن سبكتكين، ومدرسة ثالثة بناها إسماعيل

بن علي الاستراباذي الواعظ الصوفي(السبكي، ١٤١٣هـ، ج٤، ص ص٣٠٩، ٣١٢، ٣١٤). وفي موضع آخر ذكر مدرسة محمد بن عبدالله بن خمشاد النيسابوري(ت٣٨٨هـ) (السبكي،١٤١٣هـ، ج٣، ص١٧٩-١٨٠).

وفي دمشق تم إنشاء أول مدرسة فيها سنة(٣٩١هـ)، وهذه المدرسة هي المدرسة الصادرية المنسوبة إلى منشئها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله، وتبعه بعد ذلك مقرئ دمشق رشأ بن نضيف؛ إذ قام بتأسيس المدرسة الرشائية في حدود سنة(٤٠٠هـ)، وإلى هذه المدارس خرج الطلبة من الحلق التي كانت تعقد في المسجد إلى مكان يختص بتلقي علم معين، فيوقف عليهم وعلى شيوخهم المال وتوفر لهم أسباب التعليم(النعيمي، ١٤١٠هـ، ج١،ص٩). كذلك هناك مدرسة أبي إسحاق الأسفراييني الفقيه الشافعي(ت٤١٨هـ)، التي أشار لها متز في معرض تأكيده على أن المدرسة من مستحدثات القرن الرابع، وأن تغير طريقة التعليم كان سببا في إيجاد نوع جديد من المؤسسات العلمية؛ لأن المناظرة والجدل لم يكن يحسن أن يتم في المسجد، فالقرن الرابع هو الذي أظهر هذه المعاهد الجديدة التي بقيت إلى الوقت الحاضر(متز، د-ت، ص٣٣٦). وأيده في ذلك أحد الباحثين الذي أكد على ريادة نيسابور للمدن الإسلامية في إنشاء المدارس، وأن المدارس نشأت في كنف الفقهاء الشافعية ورعايتهم. كما أكد على أمر هام، وهو أن المدارس ظهرت كمبادرات شعبية حققت للناس طموحاتهم في أن تكون الأمكنة مراكز علمية تدرس فيها مختلف العلوم والآداب، وأنها في عهدها

الأول لم تستكمل شروط المدرسة من حيث السعة والوقوف التي توقف للصرف عليها (أمين،٢٠٠٠م، ص ص١٠٣-١٠٤). كذلك هناك المدرسة الكاملية(دار الحديث)، التي تقع قبالة قصر الشوك بجانب المسجد الذي بناه جوهر الصقلي صاحب الفاطميين، ذكرها ابن تغري صاحب كتاب النجوم الزاهرة في أحداث سنة(٣٥٨هـ)(ابن تغري،١٤١٣هـ، ج٤، ص ص ٣٦-٣٧). وكان ممن ذهب إلى هذا الرأي بروكلمان أيضا حيث أشار إلى أن فارس عرفت المدارس في نهاية القرن العاشر الميلادي-الرابع الهجري-، كذلك تحدث في موضع آخر من كتابه عن أن الحكم الثاني المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ)، بنى سبعا وعشرين مدرسة في قرطبة أدخل فيها الطلاب الفقراء (بروكلمان،١٩٦٨م، ص ص ٢٧٤، ٣٠٢). والخلاصة في رأيهم: أن المدارس أنشئت قبل القرن الخامس في عدة مدن، وأن القول بأن نظام الملك هو أول من قدر المعاليم غير صحيح؛ لأن أول من نصب الرجال لتعليم الصبيان هو عمر بن الخطاب، ولم يكن ذلك بالمجان، أما القول بأن نظام الملك هو أول من أوقف الأوقاف على المدارس، فغير مقبول أيضا لأن أبو حاتم البستي قد أوقف مدرسته بما فيها من كتب وغيره(أحمد، ١٤٠١هـ، ص١١)، (السامرائي، ١٩٨٩م، ص ص٣٤٢-٣٤٣)، (عبدالعال، د-ت، ص٢١١). وترى الباحثة أنه مما لاشك فيه أن المدارس النظامية وتنظيمها وما لعبته من دور كل ذلك أحدث نقلة كبيرة وقفزة نوعية في النظام التربوي ككل، وهذا مما يحمد لنظام الملك وللدولة السلجوقية.

المطلب الثاني: مراحل التعليم في القرن الرابع الهجري: لقد كانت هناك مرحلتان للتعليم وهما على النحو الآتي: مرحلة الكتاب: والكتاب مكان محدد، تمثله غرفة في دار أو سقائف حول المسجد أو ركن في مسجد جامع- وهذا قليل لتحفظ المالكية حول تعليم الصبيان في المساجد- يذهب إليه الصبيان في سن صغيرة للتعلم، ويستعمل فيه الصبيان ألواحا يخطون عليها ما يتعلمونه ثم يمحونه بعد حفظه. أما عن فترة الكتاب فلم تكن تقل عن ثلاث سنوات، وربما امتدت لخمس أو ست سنوات، وربما تجاوزت ذلك لدى غير النجباء. أما عن أيام التدريس فهي تشمل كل أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة والعيدين، وربما تقل ساعاته في رمضان. وتمتاز هذه المرحلة عن المرحلة اللاحقة بتطبيق العقوبات البدنية بضوابط، إذ أن سمعة المعلم تقاس بمقدار نجاحه في التأديب؛ ولذا تم التركيز على تعويدهم على السلوك المنسجم مع أوامر الإسلام ونواهيه سواء في العبادات أو المعاملات(عباس، ١٩٨٩م، ص ص ١٨٢-١٨٦)،(بدر، ١٩٨٩م،ص ٢٠٦).

أما مرحلة ما بعد الكتاب أو المرحلة العالية: ففيها يأخذ الطالب قسطا من الثقافة الأساسية، ثم إذا شاء التميز تمهر في واحد أو غير واحد من العلوم. فللطالب والمعلم حرية واسعة، حيث للدارس أن يدرس ما يشاء من علوم على يد من يراه مناسبا؛ ولذا قد يأخذ عن غير واحد من العلماء المتقنين، وكان الشيخ يختار الأوقات التي تناسبه للتدريس، وهذه الحرية في اختيار الزمان تواكبها حرية مماثلة في اختيار المكان، فكل الأماكن صالحة لتلقي العلم، وخيرها المسجد الجامع في كل بلد؛ لأنه أرحب صدرا للتحلق.

ولقد التف الطلبة حول أستاذهم في داره وحديقته أو دكانه أو حتى سجنه. أما عن عدد طلاب تلك الحلقات العلمية، فالحاكم هنا اتساع المكان وشهرة العالم، هذا بالنسبة لنظام الحلقة الذي تميز في المرحلة العالية، كذلك هناك نظام آخر وهو نظام المجلس كمجالس الحديث لروايته، ومجالس التدريس لفهم مسائل في الفقه والنحو، ومجالس المناظرة، وأخرى للمذاكرة، وكانت لطلبة العلم ثم أصبح بعض العلماء يتذاكرون فيها ويحضرها طلبة العلم، وكانت هناك مجالس الشعراء، ولم تكن للتعليم، ومع ذلك حضرها طلبة العلم كما في جامع المنصورة ببغداد، كذلك كانت مجالس الفتوى والنظر؛ لإصدار الفتوى وتكون مرة بالأسبوع، وكان طلبة الفقه يحضرونها؛ ليشاهدوا الأحكام العملية لما درسوه. وتجدر الإشارة إلى أن مواعيد المحاضرات كانت تبدأ بعد صلاة الفجر، وهذه هي الفترة الأولى، ثم تليها فترة ثانية تنتهي عند صلاة الظهر، ثم ثالثة تنتهي بصلاة العصر، ثم رابعة حتى أذان المغرب، وربما وجدت بعض المحاضرات في المساء(أحمد، ١٤٠١هـ، ص ص ٥٥-٦١)، (عباس،١٩٨٩م، ص ص ١٨٦-١٨٩). فالتعليم في ذلك القرن كان مفتوحا ومتاحا على مدار اليوم تقريبا.

المطلب الثالث: مناهج التعليم في القرن الرابع الهجري: لقد امتازت هذه المناهج بالتوازن بين علوم الدين والدنيا، ومع ذلك فإن هناك تركيز على بعض العلوم دون بعضها الآخر، حسب مرحلة النمو ومرحلة التعليم، وحسب التخصص الدقيق في مراحل التعليم العالي، كذلك فإن هذه المناهج امتازت بالوظيفية، فهي تهدف إلى تخريج وتشكيل إنسان مسلم عارف

بدينه، وفاهم للحياة، ومساهم في حركة وبناء مجتمعه كما في التعليم المتخصص(عبد العال، د–ت، ص١٣١).

ويمكن تقسيم هذه المناهج التعليمية على النحو الآتي:

– منهج التربية لأطفال ما قبل السادسة: وكان المنهج يتركز في التربية الخلقية، والاهتمام بالنمو الحسي الحركي، عن طريق اللعب وممارسة الرياضة والعناية بتدريب الحواس وتنميتها؛ وذلك لإعداده لمرحلة الكتاب. ولذلك أكد كثير من رجال الفكر التربوي في هذا القرن، ومن ذلك قول ابن سيناء في كتابه القانون في الفصل الرابع تدبير الأطفال: "وإذا انتبه الصبي من نومه، فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئا يسيرا ثم يطلق له اللعب الأطول ثم يستحم ثم يغذى"(ابن سيناء، د–ت، ص١٥٠). أما ما يتعلق بالتربية الخلقية، فقد أكد العلماء على ضرورة تهيئة الظروف التي تسمح بتكوين عادات سليمة لدى الصبي؛ وذلك لأن نفسه "مستعدة للتأديب صالحة للعناية"(ابن مسكويه، د–ت، ص ٦٧).

– منهج التعليم للمرحلة الأولى من عمر ست سنوات وحتى أربع عشرة سنة. ولقد وقع الخلاف بين البلدان الإسلامية في منهج تعليم صبيان الكتاتيب، فعكس كل منهج اهتمام أهله بمواد دون أخرى، فأهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن فقط، ولا يخلطون ذلك بشيء سواه في تعليمهم، لا بحديث ولا بفقه ولا شعر إلى أن يحذق فيه، وأما أهل الأندلس فيركزون على تعليم القرآن الذي هو أصل في التعليم، ومع ذلك يعلمون الوالدان الشعر والكتابة وقوانين العربية. وأما أهل أفريقيا فيخلطون في تعليمهم القرآن

بالحديث وقوانين العلوم، إلا أن التركيز يكون على تعلم القرآن وقراءاته ثم الخط. وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم ويهتمون بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطونه بتعليم الخط الذي له قانونه ومعلموه(ابن خلدون، ١٤٢١هـ، ص ص ٧٤٠-٧٤١). وبالرغم من هذا الخلاف في تحديد المنهج، إلا أنه يظل تعليم القرآن الكريم هو محور التعليم في الكتاتيب إلى جانب علوم ومعارف ومهارات أخرى حيث أضاف ابن مسكويه أهمية الرياضة للصبي في فصل عقده بعنوان: في تأديب الأحداث والصبيان خاصة فيقول: "ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود أضدادها"(ابن مسكويه، د-ت، ص ٧١). وخلاصة الأمر أن المنهج كان دينيا في هذه المرحلة، وكان هناك اهتمام بمبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم ومعرفة قواعد الإسلام إلى جانب العناية بالتربية الخلقية والتربية الرياضية والحساب والشعر الهادف(الإبراشي، د-ت، ص ص١٦٠-١٦١).

- منهج التعليم للمرحلة العالية: عرف هذا المنهج في القرن الرابع الهجري المواد العامة، التي يجب أن يدرسها الطلاب جميعا، والمواد التي تخضع لميول المتعلم واهتماماته، وهذه المواد العامة هي المواد الدينية واللغوية. وفي هذا العصر تعددت العلوم، وتعددت بالتالي المناهج؛ نظرا للازدهار الثقافي، واختلفت المناهج باختلاف الغرض الذي يرمي إليه المتعلم، فمنهج من أعد نفسه ليكون كاتبا غير منهج من أراد أن يكون محدثا وهكذا، فكان التعليم مسؤولية المتعلم مدفوعا بميوله ورغباته، ويتضح ذلك من تعدد الإجازات الممنوحة للطالب الواحد في فروع متعددة للعلم من شيوخ متعددين. ويمكن

حصر فروع العلم المختلفة التي كانت تدرس في القرن الرابع، من خلال الرجوع لمؤلفات هذا العصر، وإلى الكتب التي أحصت هذه العلوم كمفاتيح العلوم للخوارزمي أو كتب التراجم كالفهرست لابن النديم وغيره(عبد العال، د–ت، ص ص ١٣٩–١٤١). ومن الملاحظ اتصاف تلك المناهج بالشمول والاتساع لجميع فروع المعرفة، فقد كان منهج التعليم في هذه المرحلة بعيدا عن التخصص الضيق للعلوم، فهذا التخصص لا يأتي إلا بعد فترة دراسية عامة وحتى تظهر ميول المتعلم.

المطلب الرابع: طرق التدريس في القرن الرابع الهجري: لقد تنوعت هذه الطرق في ذلك القرن الزاهر علميا، واختلفت من مرحلة إلى أخرى، فلقد تم التركيز على طريقة التلقين والتكرار؛ بسبب أن المنهج كان يدور حول حفظ القرآن واستظهاره، ولذا على الصبي في المرحلة الأولى من التعليم الحفظ والاستظهار، وكان ذلك دليلا على تميز الصبي عن غيره(الإبراشي، د–ت، ص ١٩٦). أما طريقة المحاضرات فقد عرفت في المرحلة العالية، حيث كان المحاضر يعتمد على الإلقاء والتكرار؛ حتى يتمكن الطلبة من الحفظ خاصة في حلقات الحديث، وكذلك الكتابة، علما بأن هذه الطريقة تنقسم إلى:

أ– طريقة الإملاء سواء من كتاب أو من حفظ الشيخ، وسميت كتب هذا العصر بالأمالي، وإن كانت الحلقة كبيرة استعان المعلم بمستمل، غير أن الحاجة إلى طريقة الإملاء بدأت تقل تدريجيا في ذلك القرن بعد انتشار الكتب ورواج صناعة الورق.

ب- القراءة على الشيخ أو العرض، فقد يقرأ أحد تلاميذ الشيخ ما كتبه عن شيخه أو أن يقوم الشيخ بقراءة كتابه على تلاميذه في بيته. والغالب تكون هذه الطريقة فردية، ويكون الطالب حرا في اختيار الموضوع الذي يقرأه على الشيوخ (عبد العال، د-ت، ص ص ١٥٣-١٥٤). إلا أن ريبيرا فرق بين هاتين الطريقتين فسمى الأولى العرض، وسمى الثانية القراءة، وهي طريقة في مرتبة تالية لطريقة العرض من حيث قوة الرواية (ريبيرا، ١٩٩٤م، ص ٤٣).

ومن طرق التدريس طريقة المناظرة، التي أولع بها بعض علماء المسلمين؛ لما لها من أثر في شحذ الذهن، وتقوية الحجة، والتمرن على سرعة التعبير، والقدرة على الارتجال وغير ذلك. ولقد ذكرت بعض الكتب بعض مجالس المناظرات كالتي حصلت بين السيرافي وأبو بشر متى في ذلك القرن(التوحيدي،١٤٢٤هـ، ج١، ص ص ٨٩-١٠٠). وهناك طريقة المناولة، وهي أن يعطي الشيخ تلميذه كتابه يدا بيد، وهو أشد تقدير، أو بواسطة شخص آخر وهنا من الأفضل أن يكون الكتاب منسوخا بخط الأستاذ أو راجعه أو صححه على الأقل(ريبيرا، ١٩٩٤م، ص ص ٤٣-٤٤). أيضا هناك طريقة الوجادة، وهي أن يتبنى الإنسان شيئا قرأه في كتاب أو تعليق، ولم يطلب الإجازة من كاتبه ولم يسمعه منه، وقد انتفع بعض العلماء بهذا النوع، ولكنهم في الغالب اتهموا بالسرقة أو على الأقل اتهموا بأنهم يرون شيئا لم يجازوا بروايته، وهذا أمر عادة ما تذكره كتب التراجم فمثلا: أشار الخطيب في ترجمته لأبي بكر بن مالك، أنه غرقت كتبه فنسخها من

كتاب ذكروا أنه لم يكن سماعه فيه فغمزوه؛ لأجل ذلك وإلا فهو ثقة(الخطيب البغدادي،د-ت، ج٤،ص ص ٧٢-٧٤).

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أمر هام يتعلق بتحصيل العلم في المرحلة العالية، وهو الرحيل في طلب العلم. ويعتبر ذلك من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم عبر القرون، فقد كان الواحد منهم يكابد مشاق السفر وأخطاره، التي يعجز المرء عن وصفها لمجرد سماع حديث واحد، ولم يقتصر الأمر على المقتدرين بل حتى الفقراء رحلوا لطلب العلم؛ وذلك لما للرحلة من فوائد خصوصا في القرن الرابع الهجري، كتحقيق الوحدة الثقافية بالرغم من الانقسام السياسي، كذلك الحراك الثقافي في البلدان التي يسافر لها العلماء، فقد ينقلون معهم كتابا أو قد يجلسون في مجالس المذاكرة وقد يجيبون عن سؤال ما(أحمد، ١٤٠١هـ، ص ص ٦٥-٦٧). وللرحلات أيضا أثر عظيم في النهوض بالكبار من المتعلمين وتربيتهم من النواحي العلمية والعملية والعقلية والاجتماعية والدينية والثقافية(الإبراشي، د-ت، ص ١٩٩). ولعل هذه الفوائد جاءت مفصلة بشكل أكبر في كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، الذي أسهب بذكر فوائدها وآدابها، وذكر الصحابة والتابعين وغيرهم الذين رحلوا طلبا للحديث الواحد، ومن مات منهم قبل سماعه حتى. ولقد رحل المئات من طلاب العلم في القرن الرابع الهجري، وطافوا في أرجاء البلاد الإسلامية؛ ليأخذوا العلم عن رجاله. ولقد كانت قيمة الطالب آنذاك تقدر بما قام به من رحلات، وبما قام به من لقاء الشيوخ والعلماء، وهذا ملاحظ في تراجم علماء ذلك القرن في كتب التراجم

المختلفة من عبارات نحو: كان رحالا، ورحل في طلب العلم، وطاف البلاد ونحوها. ومثال ذلك ما ورد في ترجمة ابن المقري(ت ٣٨١هـ)، وهو من علماء ذلك القرن قوله عن نفسه:"طفت الشرق والغرب أربع مرات". وقال ابن منده:"كتبت عن ألف شيخ وسبعمائة شيخ"(في الخطيب البغدادي، ١٣٩٥هـ، ص ص ٢١٠-٢١١). ومن الملفت للنظر أن كثيرا من علماء الأندلس عقدوا أبوابا في كتبهم عن المرتحلين في سبيل العلم، من ذلك ما أورده الخشني(ت٣٦١هـ) في كتابه قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، حيث كتب: باب ذكر من تشرق ممن كان ينتسب إلى علم من أهل القيروان(الخشني،١٤١٥هـ، ص ٢١٩). لقد انشغل هؤلاء العلماء الأفذاذ بالعلم، وجعلوا غذاءهم الكتابة وطلب العلم، واستراحهم المذاكرة، وذلك لأنهم عابوا التفقه من بطون الكتب.

المطلب الخامس: المتعلمون في القرن الرابع الهجري: لعل النصوص الإسلامية، وما جاءت به من ترغيب بالعلم، وأهمية طلبه والأجر عليه، جعل الطالب المسلم يقبل على طلب العلم بعزيمة وإصرار، ولو تطلب الأمر قطع الأميال لذلك الهدف، كذلك لا يمكن نسيان دور العلماء في حض الناس على طلبه، فالقابسي(٤٠٣هـ) يذهب لوجوب تعليم الصبيان جميعا، وأن ذلك ما دلت عليه الآيات وفعل المسلمين(الأهواني، د-ت، ص ٢١٩). ولعل ذلك راجع لوجوب معرفة القرآن والعبادات، وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. إضافة إلى ذلك تشجيع الآباء بصورة عامة لأبنائهم على طلب العلم والرحلة في سبيله، ولذا كثيرا ما كان أبناء العلماء في الغالب

يقلدون آبائهم في التعليم، ويحضرون معهم مجالس العلماء، ويعودوهم السماع والكتابة، فقد كان طلب العلم مفخرة للآباء، بل قد يصل الأمر بهؤلاء إلى إقامة الولائم بمناسبة انخراط أبنائهم في سلك العلم، ومع ذلك كان هناك من الآباء الفقراء من يشكل ابنه الطالب عبئا ثقيلا؛ لأن التعليم يستغرق سنين طويلة، ويكلف نفقات طائلة، ولكن هؤلاء الطلبة عادة ما يجدون من يعينهم على تلك النفقات من قبل المحسنين(أحمد،١٤٠١هـ،ص ص ٧٩-٨٠).

وعموما فإن الطلبة نوعين: طلبة عارضين وطلبة منتظمين، فالصنف الأول يشمل أعداد كبيرة من رجال الأعمال والعمال وغيرهم، ممن يحضر الدروس بين حين وآخر، ولا سيما مجالس الإملاء وهم أضعاف عدد الطلبة المنتظمين. وأما الصنف الآخر فهم الطلبة المنتظمون، وهم الذين يقضون شطرا من حياتهم في طلب العلم، وهؤلاء عادة ما يبدأون بعد مغادرتهم للكتاب. ومن المتعذر تحديد مدة الدراسة، إذ هناك اختلاف بين الطلبة فمنهم من يتردد على حضور مجالس العلم في مدة ما بين عشر سنوات وأربعين سنة، كما في بعض علماء اللغة، وقد يستمر طيلة عمره يطلب العلم. ولا يشترط عدد للعلماء الذي يؤخذ عنهم العلم، لكنهم حرصوا على الأخذ عن أكثر من عالم-وقد لاحظت الباحثة أن طلاب العلم في بغداد كانوا محظوظين لكثرة العلماء في مدينتهم، وكذا طلبة العلم المتميزين الذين أتوا إليها- أما عن وضعهم المادي فقد كان منهم الفقير والغني، فهم كطبقات الشعب الأخرى(أحمد، ١٤٠١هـ ،ص ص ٧٣-٧٦). ومن الملفت للنظر أن كثير من طلاب العلم كان لهم الفضل بعد الله في نشر مؤلفات، وأفكار

علمائهم، كذلك فإن بروز بعض الطلاب قد يؤدي إلى شهرة العالم على مستوى الأقطار الإسلامية فمثلا لعب تلاميذ ابن أبي زيد القيرواني(ت٣٨٩ هـ)دورا في نشر مؤلفاته، كذلك فإنه امتاز بكثرة تلاميذه(إدريس، ١٤٠٩هـ،ص ١٣٠). أمر أخير تجدر الإشارة إليه، وهو أن الطلاب كان منهم غير المسلمين، الذين ركزوا على حضور حلقات غير المواضيع الدينية، كذلك فإن العبيد كانوا يطلبون العلم مثل: القاسم بن سلام العالم المشهور، الذي كان والده عبدا روميا، وقد اعتنى به سيد والده فعلمه مع ابنه، وكذلك فعل بعض الخلفاء، بل أن بعض العبيد كانوا يأخذون الدروس سوية مع أسيادهم، وكذلك الجواري التي برز منهن من كانت تناقش العلماء، وتنظم الشعر، وإن كان العدد محدودا (أحمد، ١٤٠١هـ، ص ٨٢). وهذا يشير إلى انتشار مبدأ تربوي إسلامي هام في القرن الرابع الهجري وهو كون التعليم لجميع الناس.

المطلب السادس: إدارة التعليم وتمويله في القرن الرابع الهجري: لقد كانت نفقات التعليم في ذلك القرن قليلة؛ وذلك لأن المعلمين العلماء كانوا لا يتقاضون الأجر على التعليم، كذلك فإن التعليم كان يجري في أمكنة غير مستأجرة، وحين انتشرت دور الكتب والعلم ظهرت الحاجة للإنفاق عليها، وذلك من عدة مصادر كهبات للمحسنين من الخلفاء والوزراء أو من العامة، كذلك لا يمكن نسيان دور العلماء في وقف الكتب ومستلزمات الكتابة لطلاب العلم، والملفت للنظر أنه بالرغم من دعم الحكام للتعليم، فقد كان ذلك الدعم ضئيلا، إذا ما قيس بمساهمات الأفراد مما أعطى التعليم صفة

شعبية(عبد العال، د–ت، ص ص ١٧٦–١٧٧). ومن علماء القرن الرابع الهجري الذين أوقفوا أبو القاسم جعفر الموصلي الفقيه(ت ٣٢٣هـ)، الذي أسس دارا للعلم، وجعل كتبها وقفا على كل طالب علم، وإن جاءها معسرا أعطاه ورقا وورقا، ومثال آخر ما فعله القاضي ابن حبان(ت ٣٥٤هـ) في مدينة نيسابور فقد بنى خزانة للكتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق(متز، د–ت، ص ٣٢٩). ولقد لعبت هذه الأوقاف دورا في خدمة الحركة العلمية؛ نظرا لحجم الموارد السنوية، فقد بلغت هذه الموارد ثلاثة عشر ألف دينار على ما أوقفه المقتدر بالله من ضياع حول بغداد، وكان ريعها للمساكين والساكنين في الحرمين الشريفين الذين منهم طلبة العلم هناك(أبو النصر، ٢٠٠٢م، ص ١٠).

أما بالنسبة لإدارة التعليم، فقد كان نظام التعليم حرا، يقوم على حرية اختيار المعلمين من قبل المتعلمين، فالتعليم مسؤولية فردية، ولم يكن هناك جهاز يهتم بوضع خطط للتعليم أو الإشراف عليه. ورغم هذه الحرية إلا أن الدولة كانت تتدخل في بعض الأحيان حين تدعو الحاجة – بوصفها ممثلة للجماعة – لتحارب الدعاوى الدينية المنحرفة كما في محاربة الحلاج الذي ادعى الإلوهية، والشلمغاني الذي ادعى حلول روح الإله فيه، كذلك مثال آخر لتدخل الدولة وهو إنشاء الفاطميين للجامع الأزهر لخدمة مذهبهم(عبد العال، د–ت، ص ص ١٧٨–١٧٩).

المبحث الثالث: الجهود العلمية لعلماء التربية في القرن الرابع الهجري ومكانتهم المالية والاجتماعية:

عنى المسلمون بتلقي العلم عن المدرسين عناية ملحوظة، وكرهوا كراهة شديدة أن يتلقى طالب العلم عن الكتب وحدها "تشييخ الصحيفة". وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم قومه ودعوتهم للإسلام، وهكذا فعل الخلفاء الراشدون، ولكن لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية تحمل العلماء هذه المهمة، بل إنهم رافقوا الجيش الإسلامي أثناء الفتوحات. ومن الملاحظ فإن هؤلاء العلماء لم يكونوا معينين من قبل الدولة، ولذا قام العلماء بالتعليم في كل مكان طلبا للثواب من الله تعالى، ومن دون أن يحثهم على ذلك أحد ولذا درسوا ما شاءوا من العلوم، وهذا كان قبل أن تنشئ الحكومات معاهد تعليمية، التي عين فيها معلمون، ونظمت لهم فيها الأجور، ولذا تدخلت الدولة هنا في موضوعات الدروس كما فعل الفاطميون في الجامع الأزهر الذي ساهم بنشر مذهبهم. والخلاصة: أن تدخل الحكومات كان خاصا بالمدرسين الذين عينتهم، ولم يمس هذا التدخل آلاف المدرسين الذين ظلوا يجلسون في المساجد، ويفد إليهم الناس(شلبي، ١٩٨٢م، ص ٢١٧).

أما عن مكانة علماء القرن الرابع الهجري الاجتماعية والمالية: فإن ذلك مختلف بحسب وظائفهم، إذ هناك معلمي الكتاتيب والمؤدبين والمعلمين في المساجد، ويمكن الحديث عن ذلك على النحو الآتي:

– معلمو الكتاتيب، الذين يحلو للبعض وضعهم في خانة واحدة، وبالتالي ازدراءهم والتقليل من شأنهم، وهذا أمر مجاف للحقيقة، إذ أن هناك عددا كبيرا منهم كانوا على مستوى يدعو للتقدير والإجلال، منهم العلماء والفقهاء والأدباء والخطاطون، ومن هؤلاء من شق طريقه حتى وصل إلى

مكانة مرموقة، فأصبح قاضيا أو رجل سياسة أو قائدا للجيش، ومع ذلك كله فإن بعضا من مدرسي الكتاتيب كانوا جهالا احترفوا هذه المهنة بثقافة ضحلة وبأخلاق شجعت الآخرين على امتهانها، وهؤلاء جلبوا السمعة السيئة للجميع(شلبي، ١٩٨٢م، ص ٢٢٠). ولعل هذه النظرة شاعت في بلاد المشرق والقيروان، ولا يمثل موقف المغرب كله، فقد عظم المعلم فكان مرجعا ثقافيا، وكان صاحب القضاء والفتوى، حتى أصبحوا من الأعيان، وأحيانا من زعماء الثورات ضد سلطة الفاطميين وغيرهم. ولعل تلك المكانة الرفيعة لقلة زاد الناس في هذه الأماكن من العلم أيضا فإن بعض الأوساط كصقلية وغيرها لم تكن تعرف العربية، بل أن الدولة شجعت المعلمين وأعفتهم من النفير؛ لنشر اللغة العربية ببلاد المغرب(بدر، ١٩٨٩م، ص ص ٢١٩-٢١١). وبالنسبة لحالتهم المالية، فهي تميل إلى أنها كانت شحيحة في الكثير الغالب، وذلك نتيجة للمستوى الاجتماعي المتدهور الذي أشيع عنهم بالحق أو بالباطل، فضلا عن أن هؤلاء يعلمون القرآن الكريم، ومن أجل ذلك كان متوقعا منهم أن لا يأخذوا الأجر على ذلك، أو على الأقل يكونون زهادا، يرضون بالقليل منه بحسب ما يدفعه أهل الصبي، وعلى العموم فإن الأجور كانت على قسمين: قسم يدفعه الصبيان أسبوعيا أو شهريا، وهو مبلغ من المال، ثم مبلغ قليل آخر يدفع للمعلم في الأعياد، وقد يدفع بدل المال مقدار من الذرة أو القمح، وقسم آخر يدفعه أهل الصبي عند إتمامه حفظ سورة معينة من القرآن الكريم، وكذا ما يدفع عند ختم القرآن(شلبي، ١٩٨٢م، ص ص ٢٣٨-٢٤١).

– المؤدبون: وهؤلاء يحظون بالمكانة؛ وذلك لأنهم يقومون بتأديب أولاد الخاصة صبيانا أو كبارا، وكان ينظر إليهم على أنهم من أفراد الأسرة، ولعل من أبرز المؤدبين للخليفة الراضي بالله في القرن الرابع الهجري الصولي، وكان صاحب مكتبة كما ذكر سابقا. وبالرغم من هذا المستوى الاجتماعي الرفيع، فإن بعض العلماء رفضوا هذه المهنة زهدا وورعا. أما عن أوضاعهم المالية فقد كان الخلفاء يسبغون عليهم من فضلهم، فكان تعيين شخص ما مؤدبا فاتحة خير عليه وعلى ذويه(شلبي، ١٩٨٢م، ص ٢٤١).

– المعلمون بالمساجد: وقد حظي هؤلاء بالكثير من الإجلال والتقدير، وقد تحدثت العديد من المصادر عن مكانتهم عند العامة والخاصة– صحيح أنه لا يمكن نكران بعض الحالات عبر التاريخ الإسلامي التي اضطهد فيها بعض منهم–. ومما يدل على المكانة الرفيعة أن بعض الخلفاء كانوا يقربونهم ليكسبوا تأييدهم، وكان بعض الخلفاء يحضرون مجالسهم لإظهار تمسكهم بالدين الحنيف ولإظهار احترامهم لأهل العلم(أحمد، ١٤٠١هـ، ص ١١٣). أما عن مكانتهم عند العامة وخاصة طلبة العلم، فقد أظهروا لهم الاحترام فهم خير مرشدين لطلابهم. وكان الطلبة لا يتسامحون بذكر أحد شيوخهم بسوء بل يدعون لهم ويبدون الحزن العميق على من مات منهم ويزورون قبره(أحمد، ١٤٠١هـ، ص ص ٧٨– ٧٩). ولقد كثر عدد العلماء في ذلك القرن، فعقد في المسجد الواحد مئات الحلقات. وكان الفقهاء أكثر العلماء تلاميذا، فمثلا كان أبو حامد الاسفراييني(ت ٤٠٦هـ) يدرس بمسجد ببغداد، وكان يحضر مجلسه أربعمائة طالب(ابن الأثير،١٣٥٣هـ، ج ٩، ص ١٨٣). ومن الناحية

المالية فيمكن اعتبارهم من أعضاء الطبقة الوسطى، ثم إن عددا كبيرا منهم كانوا من التجار بعيدين كل البعد عن وظائف الدولة، بل دأبوا على رفض العون منها وعدم المشاركة في أعمالها مما أعطاهم مكانة خاصة، فلعبوا دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم. ولقد كره بعض العلماء طريقة الخلفاء في الحكم وأسلوبهم في الحياة، وكذلك رفضوا أغلب المناصب التي عرضت عليهم، كما رفضوا المساعدات المادية؛ وذلك لحرصهم على البقاء أحرارا فيما يتصدون لتدريسه، وإن كان بعض العلماء يقبل الأموال؛ لغرض توزيعها على الطلبة المحتاجين(أحمد، ١٤٠١هـ، ص ص ١٠٣، ١١٠- ١١١، ١١٨).

أما عن أبرز العلماء التربويين في القرن الرابع الهجري وإسهاماتهم العلمية:

فلقد ظهر الفكر التربوي في ذلك القرن مستقلا بذاته، بعد أن كان ممتزجا من قبل بكتابات الأدباء والفلاسفة والفقهاء، فألف القابسي رسالته المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ثم ظهر كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، ثم كتاب السياسة لابن سيناء، وبالرغم من هذا الاستقلال، إلا أنه كان يتكامل في كتابات الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين أكثر مما يتكامل في كتابات رجال التربية الإسلاميين؛ وذلك لأن الفكر التربوي عند أولئك الفلاسفة والفقهاء والمتكلمين فكر متصل بفكر أكبر يدور حول الفرد والمجتمع المسلم، ولا يأتي مبتورا عنهما(عبد العال، د- ت،ص ١٠٢)،(عبود، ١٩٧٧م،ص ١٣٣). وهذه النظرة الشمولية للإنسان يمكن ملاحظة انعكاسها على نظام التربية الإسلامية في ذلك القرن، في مؤسساته ومناهجه ومراحله ووسائله وغير ذلك. ولعله من المناسب عرض

أهم هؤلاء العلماء الذين جاءوا من خلفيات فكرية مختلفة، لكن القاسم المشترك بينهم تطرقهم لبعض القضايا التربوية، وخاصة تلك المتعلقة بتربية النشء، مساهمة منهم في إصلاح المجتمع، وتم عرضهم وفقا للترتيب الزمني:

١- ابن الجزار القيرواني: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، ولد سنة(٢٨٥هـ)، وتوفي سنة(٣٦٩هـ). وقد عاش في بيت علم اشتهر بالطب فبرع به، وبالفلسفة والتاريخ والطبيعة، ولقد عرف بكثرة مؤلفاته ومنها: سياسة الصبيان وتدبيرهم، وهو مؤلف من اثنين وعشرين بابا، يبحث فيه تدبير شؤون المولودين في حال الصحة والمرض. ومن الملاحظ أن هذا الكتاب أثر في المؤلفات اللاحقة، كما فعل كتاب القانون لابن سينا حيث اقتبس منه. ويعد هذا الكتاب الأول من نوعه الذي يركز على القواعد اللازمة لحفظ صحة الأطفال(إدريس، ١٤٠٩ هـ، ص ص ٦٧، ٧١- ٧٢). أما عن أبوابه فهي كثيرة ومنها ما يتعلق بالتربية كالباب الأول الذي هو بعنوان: تدبير الصبيان حال خروجهم من الرحم، وشروط الأم الجسدية والنفسية. أما الباب الثاني فكان بعنوان: صفة المرضع سنها وخلقها وخلقها، وكونها ولدت مرتين أو ثلاثا. ثم أبواب عدة تتحدث عن الأمراض التي تصيب الأطفال، وأوجاع الأسنان والبثور والحكة وحصى المثانة ونحو ذلك مما يتعلق بجانب من جوانب التربية وهو جانب التربية الصحية، أما الباب الثاني والعشرون فهو عن الأمر بتأديب الصبيان وأنواعهم، ومدى تقبل كل نوع للتأدب، وطرق سياستهم وتحسين طباعهم(ابن الجزار، ١٩٨٤م).

٢- العامري: وهو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري النيسابوري، من كبار الفلاسفة في القرن الرابع الهجري. ولد بمدينة نيسابور في مطلع ذلك القرن على الأرجح، وتوفي سنة(٣٨١هـ). وقضى حياة حافلة بالعلم والتدريس، والتأليف والترحال العلمي بين الحواضر الثقافية للعالم الإسلامي حينذاك. وكانت له العديد من المؤلفات التي منها: مؤلفات في العقيدة، والتفسير، والعلوم الطبيعية ومقارنة الأديان، والأخلاق وعلم النفس ككتاب الفصول الربانية في المباحث النفسانية(العامري،١٤٠٨هـ، ص ص١٢-١٥). أما عن آرائه التربوية فهي في كتابه الإعلام بمناقب الإسلام، الذي قسمه لعشرة فصول وخاتمة ذكر فيها أربع شبهات تثار ضد الإسلام، أما عن بقية الفصول فتتحدث عن فضيلة الإسلام بإضافته للملك وللأركان الاعتقادية والعبادية والمعارف والأجيال والرعايا، وذلك في ستة فصول، أما عن الفصول الأخرى فهي عن مائية العلم، وتحدث فيه عن تقسيم العلوم، وعلاقة العلم بالإيمان، وكون الفلسفة لا تتعارض مع الدين، وفصل آخر تحدث فيه عن شرف العلوم الملية، وتحدث عن تفاضل العلوم، ثم في الفصل الذي يليه عن فضائل تلك العلوم، وتحدث فيه عن أخلاق العالم، وعن إنجازات علوم الحديث والفقه وعلوم الكلام، وشروط المشتغلين بها. أما الفصل الرابع فكان بعنوان: القول في معرفة أركان الدين، وفيه بيان لها، ولمنهجه في المقارنة بين الأديان(العامري،١٤٠٨). ومن أهم الآراء التربوية الواردة في كتابه: أن هناك علاقة وثيقة وطبيعية بين العلم والعمل، وأن من الخطأ الفصل

بينهما، وفي هذا الصدد يفند آراء الفلاسفة والباطنية الذين قالوا بنظرية العلم للعلم، أي أن العلم يجب أن يطلب لذاته، بغض النظر عما إذا كان يحقق أو لا يحقق منافع عملية للفرد والمجتمع(العامري،١٤٠٨هـ،ص ص٧٣-٧٥).

كما أنه يقسم العلوم إلى نوعين وهما: العلوم الحكمية وهي العلوم الفلسفية أو العقلية، وقد دافع عن هذه العلوم، ووجوب دراستها على أساس أن الوحي يوافق العقل ولا يتعارض معه، وأن الإسلام يدعو إلى العلم النافع بكل أنواعه، وأن دراستها تبين أن خلق الكون وتدبيره لا يقوم على الصدفة أو العبث. كما بين أن دراسة هذه العلوم لا تحقق مجرد المعرفة النظرية بالظواهر الكونية والطبيعية، بل تحقق إمكانية السيطرة عليها، والإفادة منها؛ لأنها مسخرة للإنسان وبالتالي تحقيق منافع عملية في حياة الناس(العامري، ١٤٠٨هـ، ص ص ٨١-٩٣).

والنوع الثاني من العلوم هي العلوم الملية ويقصد بها العلوم الدينية، وهي علوم الكلام، والحديث والفقه، وتعد علوم اللغة والأدب آلة معينة على دراستها، وقد دافع العامري دفاعا مجيدا عن هذه العلوم، وبين شرفها وأهميتها؛ لكونها تستمد من الوحي، وتخدم الدين؛ ولأنها لا تقتصر على تحقيق مصالح الأفراد، بل تحقق مصالح الجماعة والإنسانية جمعاء(العامري، ١٤٠٨هـ، ص ص٨٠، ١٠١-١٠٣). ويشير العامري أيضا إلى ظاهرة التخصص العلمي، مؤكدا على أن الإنسان بطبيعته مفطور على طلب العلم، وأن الإنسان لا يستطيع ضبط جميع أقسامه؛ ولهذا وجد الانجذاب إلى التخصص، إما باختيار نفسه

أو باختيار من يلي التقدير عليه يعني والديه أو مربيه (العامري، ١٤٠٨هـ، ص٨٢).

٣- النفزاوي القيرواني: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد، ولد سنة(٣١٦هـ)، وتوفي سنة(٣٨٩هـ) (القيرواني، د-ت، ص ١). وقد اشتهر بالعلم والمعرفة والفضل، وله العديد من المؤلفات منها: الرسالة الفقهية، وتعد من أشهر ذخائر التراث المالكي، بل هي المصدر الثالث في المذهب بعد الموطأ والمدونة. والكتاب صغير يحوي عددا كبيرا من المسائل الفقهية، وقد أفصح المؤلف عن الغرض من تأليفه في مقدمة كتابه، وإنها استجابة لسؤال سائل كالقابسي في رسالته. ولقد كان يورد في رسالته جملة مختصرة من واجب الديانة، وما يتصل بذلك من السنن، وجمل من أصول الفقه وفنونه، على مذهب الإمام مالك لتعليم الوالدان(القيرواني، د-ت، ص ٤). أما عن طريقة كتابه فقد قسمه إلى أبواب على طريقة الفقهاء، منها ما يتعلق مباشرة بالتربية والتعليم كباب جمل من الفرائض والسنن الواجبة والرغائب، وقد جمع فيه كل المسائل الهامة ذات الصبغة التربوية الأخلاقية مثل: بر الوالدين وإن كانا فاسقين، وطلب العلم فريضة عامة، كذلك تحدث عن صون اللسان عن الكذب والفحشاء والباطل كله، وتطرق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تحدث عن بعض الفضائل الأخلاقية، كالعفو وصلة الرحم إلى غير ذلك(القيرواني، د-ت، ص ص ١٦٤-١٧٥). أما بقية الأبواب فهي مسائل فقهية، يمكن الاستنباط منها الكثير من الفوائد التربوية وأهمها الباب الأول وهو الإيمان. ويرى

البعض أن هذه الرسالة تمثل التربية المتكاملة، فهي تبدأ بالإيمان وتنتهي بالرؤيا، والتثاؤب والعطاس ثم تتعرض لأنواع اللعب المحظورة والمشروعة، مرورا بكل ما يقوم به الإنسان من سلوك وآداب. وهذه الرسالة تمثل ما كان عليه مربي أفريقيا من حرص على مناهج التعليم خصوصا للصغار فألفوا في هذا المجال(إدريس،١٤٠٩هـ،ص ص ١٣٨-١٣٩).

٤- القابسي: أبو الحسن علي بن محمد المعافري، وقد ولد في القيروان سنة(٣٢٤هـ)، وتوفي بها سنة(٤٠٣هـ)، وكان عالما فقيها، له عدة مؤلفات في الفقه والحديث باستثناء واحد أفرده لشؤون التعليم وهو الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، وقد تأثر فيها بما كتبه ابن سحنون، ونقل عنه كثيرا إلا أن له فضل التوسع والاستفاضة في الأبواب والمعالجة. وهذه الرسالة هي إجابة عن أسئلة سائل كان قد ألح على القابسي بالإجابة، وهي تتناول بمجملها قضية تعليم الصبيان، والمكان الذي يتلقون فيه التعليم وهو الكتاب، والمناهج، والعقاب، وطرق التدريس وأحكام خاصة بالمعلم. وقد رغب القابسي بإلزامية التعليم، مما يدل على بعد نظره، وتطرق إلى تعليم البنات علوم الدين مع التأكيد على عدم الخلط بينهن وبين الذكور، وغير ذلك من القضايا(الأهواني، د-ت، ص ص ٢٦٧ – ٣٤٩).

٥- ابن مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، فارسي الأصل، ولد سنة(٣٣٠هـ)، وتوفي سنة(٤٢١هـ)، وله عدة كتب(ابن مسكويه،د-ت،ص٣)،(مرسي، ١٤٢٣هـ،ص٣٢٠). ومن أشهر كتبه: تهذيب

الأخلاق وتطهير الأعراق، ولقد تأثر بفلاسفة الإغريق، ونقل عنهم، بل إنه من خلال تصفح كتابه تجده يضع عنوانا كبيرا حول رأي أرسطو في السعادة التامة ورأيه في بقاء النفس. ولقد ذكر في مقدمة كتابه الغرض منه وهو أن يحصل المرء لنفسه خلقا تصدر به عنه الأفعال الجميلة، وتكون سهلة عليه وذلك بصناعة وترتيب تعليمي، والطريق لذلك أن نعرف أولا نفوسنا ما هي؟ أي شيء هي؟، ولذا قسم كتابه لستة مقالات الأولى: النفس، والثانية: الخلق، وعقد فيها فصلا في تأديب الأحداث والصبيان خاصة، والثالثة: الخير والسعادة، والرابعة: ظهور الفضائل ممن ليس بسعيد ولا فاضل، والخامسة: التعاون والاتحاد، والسادسة: دواء النفوس، والسابعة: رد الصحة على النفس(ابن مسكويه،د-ت).

المبحث الرابع: أبرز مميزات الفكر التربوي في القرن الرابع الهجري:

لقد امتاز ذلك القرن بالعديد من المميزات التي جعلت منه قرن انتشار العلم والنهضة في كافة الجوانب، ولعل من تلك المميزات الآتي:

- أن الثقافة كانت قسمة شائعة بين الناس؛ الخاصة والعامة، والعرب والعجم، الرجال والنساء. لعبت النساء دورا في ازدهار الحركة العلمية ورفع الجهل عن غيرهن. صحيح أن الفرص المتاحة لتعليم النساء أقل من فرص الذكور، ومع ذلك فقد نال عدد منهن حظه من التعليم، وكان تعليمهن يتم بالبيوت، فكثير منهن كن بنات العلماء أو من أقربائهم. وقد كان عدد من يحسن القراءة والكتابة منهن كبيرا. ولم تكن حلقات التعليم في المساجد على

ما يبدو مفتوحة للنساء؛ لذا كان تعليمهن يتم بواسطة معلمين يستأجرون لهذا الغرض(أحمد،١٤٠١هـ، ص٨١). ولقد ساهمت المرأة في الأندلس بنسخ الكتب، حيث بلغ عددهن في شرق قرطبة فقط مائة وسبعين امراءة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي(المراكشي،١٤٢٦هـ، ص ص٢٦٦-٢٦٧). وعن الدور العلمي لهن فلقد ظهرت بعض الكتابات في ذلك القرن تدعو إلى تعليم البنت العلوم النافعة، كما فعل القابسي، وإن كان قد منع من تعليمها الشعر ونحوه.

- الاتجاه إلى التخصص التربوي والمهني؛ نتيجة للازدهار الثقافي، وتعدد العلوم ونضجها، فكان من المتعذر الإلمام بدقائق كل علم، لذا اشتهر في ذلك القرن فقهاء ومحدثون ومفسرون ومتكلمون وشعراء ونحويون ومهندسون وفلاسفة وغيرهم.

- اتسم الفكر التربوي في ذلك القرن بالشمول في نظرته للإنسان على اعتبار أنه موضوع التربية، فتمت معالجة جميع جوانبه الروحية والمادية، وما يتصل بها من حاجات، فكتب علماء ذلك القرن - من مختلف المدارس الفكرية بدءا بالفقهاء وانتهاءا بالفلاسفة - عن الروح والجسد. كذلك اتسم ذلك الفكر بالوظيفية والمرونة أيضا، فهو يخدم المجتمع الإسلامي في درجة تطور معينة يمر بها، وهو يعالج ما استجد من قضايا، مع العلم أنه معتمد على القرآن الكريم والسنة الصحيحة فهما الإطار العام لذلك الفكر.

- أن التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري كانت قد ازدهرت، ونفذ المسلمون مبادئ مثالية كان البعض يظنها من نتاج التربية الحديثة، فإذا هي

أساسيات في التربية الإسلامية في ذلك القرن، كحرية التعليم واستقلاليته، وتوفير جو من الحرية للمعلمين والمتعلمين في أي مكان وأي وقت حتى قيل: حيثما وجد المعلم وجد التعليم، وهذا يقود لمبدأ تربوي آخر وهو إيمان العلماء بفرضية التعليم، وإيمان المتعلمين بفرضية التعلم. كذلك من تلك المبادئ تكافؤ الفرص التعليمية للجميع كما ذكر سابقا، كذلك يتضح الاعتماد على النفس في طلب العلم، وتكوين الشخصية العلمية، كذلك تناول علماء التربية في ذلك القرن قضية الفروق الفردية، والميول الفردية، وضرورة التربية المستمرة وظهر ذلك في سيرهم العطرة، فلم يكتفوا بالتنظير لذلك بل مارسوه واقعا في حياتهم. أيضا من تلك المبادئ التي نادى بها أولئك العلماء الدعوة لإلزامية التعليم كما فعل القابسي.

– أما عن البحث العلمي في القرن الرابع الهجري، فقد تسابق الخلفاء والوزراء في دعم العلماء واستقطابهم، وتمكينهم من التصنيف والتأليف، وألف بعض هؤلاء العلماء كتبا بناءا على طلب أولئك الأمراء والوزراء كما فعل أبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة. كذلك تفرغ بعض العلماء للبحث العلمي كابن مسكويه، وابن الهيثم، والفارابي وغيرهم، مما أثمر نهضة علمية في كل مجالات العلوم. لقد وافق ذلك القرن المزدهر عند المسلمين عصورا مظلمة في أوروبا، حيث أصيبت الحضارة لديهم بالانحطاط، وأصبح العلماء يتقبلون الشائعات على أنها حقيقة، ولم تبدأ النهضة إلا في القرن الحادي عشر الميلادي.

خاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج: توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج وهي على النحو الآتي:

١- أنه بالرغم من تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القرن الرابع الهجري إلا أن الحالة الثقافية العامة كانت في قمة الرقي العقلي والازدهار الفكري؛ ولعل ذلك يعود إلى التنافس الثقافي بين الدويلات المنفصلة عن الدولة العباسية، وإلى الانفتاح الثقافي على العناصر الأخرى كالفرس والهنود والترك وغيرهم، وإلى الاحتكاك العلمي بين أتباع الاتجاهات الفكرية المتعددة، وازدهار حركة الترجمة، وظهور الجماعات العلمية وخطط التصنيف.

٢- شهد القرن الرابع الهجري تطورا في المؤسسات التعليمية التربوية السائدة وتعددا ابتداءا من الكتاتيب ومرورا بالمساجد، والبادية، ومنازل العلماء، والمكتبات، والحوانيت، والقصور، والصالونات الأدبية، والرباط، والبيمارستانات وانتهاءا بالمدارس. كما أن هناك مرحلتين للتعليم هما مرحلة الكتاتيب والمرحلة العالية. وتميزت مناهج التعليم بالتوازن والشمول والوظيفية مع مراعاة مرحلة النمو ومرحلة التعليم. وتنوعت طرق التدريس حسب المادة المطروحة، وحسب ما يراه المعلم مناسبا لأحوال المتعلمين، ولذا ظهرت طريقة المحاضرة والمناولة والرحلة في طلب العلم وغيرها. أما المتعلمون فقد أقبلوا على التعليم بشكل كبير لعدة أسباب، وكان لبعضهم الفضل بعد الله في نشر مؤلفات معلميهم، وأما بالنسبة لإدارة التعليم، فقد كان نظام التعليم حرا، يقوم على حرية اختيار المعلمين من قبل

المتعلمين، ولم يكن هناك جهازا يهتم بوضع خطط للتعليم أو الإشراف عليه. ورغم هذه الحرية إلا أن الدولة كانت تتدخل في بعض الأحيان حين تدعو الحاجة، وأما تمويل التعليم فكان في أغلبه معتمدا على الجهود الذاتية حيث كانت الأوقاف هي المصدر الرئيس للتمويل.

٣- ظهر الفكر التربوي في القرن الرابع الهجري مستقلا بذاته، بعدما كان ممتزجا بالكتابات الأدبية والفلسفية والفقهية، وذلك على يد مجموعة من علماء التربية كابن الجزار، والعامري، والنفزاوي، والقابسي وابن مسكويه. وارتبطت مكانة العلماء الاجتماعية والمالية في القرن الرابع الهجري بوظائفهم، حيث اختلفت مكانة معلمي الكتاتيب عن المؤدبين في القصور والمعلمين في المساجد.

٤- أن من أبرز مميزات الفكر التربوي في القرن الرابع الهجري كون الثقافة قسمة شائعة بين الناس بمختلف أعراقهم وأجناسهم، والاتجاه إلى التخصص التربوي والمهني، واتسم الفكر التربوي في ذلك القرن بالشمول في نظرته للإنسان على اعتبار أنه موضوع التربية، فتمت معالجة جميع جوانبه الروحية والمادية، وما يتصل بها من حاجات، كذلك اتسم ذلك الفكر بالوظيفية والمرونة أيضا، فهو يخدم المجتمع الإسلامي في درجة تطور معينة يمر بها، وهو يعالج ما استجد من قضايا. ونفذ المسلمون مبادئ مثالية هي من أساسيات التربية الإسلامية في ذلك القرن كحرية التعليم واستقلاليته، وتوفير جو من الحرية للمعلمين والمتعلمين في أي مكان وأي وقت، ومبدأ إيمان العلماء بفرضية التعليم، وإيمان المتعلمين بفرضية التعلم

ومبدأ تكافؤ الفرص التعليمية للجميع. كذلك امتاز ذلك القرن بالاهتمام بتكوين الشخصية العلمية، وقضية الفروق الفردية والميول الفردية، وضرورة التربية المستمرة وإلزامية التعليم. ونال البحث العلمي في ذلك القرن دعم الخلفاء والوزراء الذين تسابقوا في دعم العلماء واستقطابهم وتمكينهم من التصنيف والتأليف.

ثانيا: التوصيات: بناء على ماتوصلت إليه الدراسة من نتائج توصي الباحثة بالآتي:

١- إجراء دراسة مماثلة حول النظام التربوي الإسلامي في العصور الأخرى.

٢- قيام الجامعات والمدارس بإعداد برامج تستهدف تكوين الشخصية العلمية لدى المتعلمين.

٣- تفعيل دور مراكز البحث العلمي القائمة الآن، وتشجيع العلماء على التأليف والترجمة.

* * *

المراجع والمصادر:

- أبيض، ملكه. (١٩٨٩). مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري. في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.(محرر). التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات.(ص ص١٠٧-١٧٣). عمان: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.
- ابن الأثير، علي.(١٣٥٣). الكامل في التاريخ. ج٦،ج٩. مصر: الطبعة المنيرية.
- أحمد، أحمد، عبدالرازق.(١٤١١). الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى "العلوم العقلية". القاهرة: دار الفكر العربي.
- أحمد، كرم.(٢٠٠٤). التراث العلمي للحضارة الإسلامية في الشام والعراق خلال القرن الرابع الهجري. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- أحمد، منير الدين.(١٤٠١). تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، (ترجمة سامي الصقار). الرياض: دار المريخ للنشر. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٦٧).
- أمين، أحمد.(١٩٨٢). ظهر الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- أمين، حسين.(١٦-٢٠أكتوبر ١٩٧٦م). المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم. بحث منشور ضمن بحوث ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة.
- الإبراشي، محمد.(د.ت). التربية الإسلامية وفلاسفتها. مصر: دار الفكر العربي.
- الأهواني، أحمد.(د.ت). التربية في الإسلام. مصر: دار المعارف.
- إدريس، علي.(١٤٠٩). سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار القيرواني. في مكتب التربية العربي لدول الخليج. (محرر). من أعلام التربية العربية الإسلامية. (ص ص ٦٥-٨٦). الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- إدريس، علي.(١٤٠٩). عبد الله بن أبي زيد القيرواني. في مكتب التربية العربي لدول الخليج. (محرر). من أعلام التربية العربية الإسلامية. (ص ص ١٢٧-١٤٤). الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

- بدر، أحمد.(١٩٨٩). التعليم في المغرب العربي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين. في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.(محرر). التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات. (ص ص ١٩٧-٢٤٨). عمان: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.
- بروكلمان، كارل.(١٩٦٨). تاريخ الشعوب الإسلامية، (ترجمة منير البعلبكي ونبيه أمين). بيروت: دار العلم للملايين. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٣٩).
- البلوشي، فاطمة. (٢٠١٣). دور الاقتصاد المعرفي في تطوير النظام التربوي من وجهة نظر المشرفين التربويين في سلطنة عمان(رسالة ماجستير غير منشورة). قسم الإدارة التربوية، جامعة مؤته، الأردن.
- بن تغري، جمال الدين، يوسف. (١٤١٣). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- تمورو، عبد الصمد. (١٤٢٩). التقليد العلمي ومجتمع المعرفة في العالم العربي الإسلامي، في البعزاتي، بناصر (تنسيق). مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية. الرباط: مطبعة النجاح.
- التوحيدي، علي. (١٤٢٤). الإمتاع والمؤانسة. بيروت: المكتبة العنصرية.
- الجبوري، يحيى. (١٩٩٨). الكتاب في الحضارة الإسلامية. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن الجزار، أحمد. (١٩٨٤). سياسة الصبيان وتدبيرهم، (تحقيق محمد الهيلة). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- جمال الدين، نادية.(٢٠٠٢). فلسفة التربية عند إخوان الصفا. القاهرة -بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني.
- حربي، خالد.(٢٠١٠). الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- الحربي، سند.(١٤١٧). التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية(رسالة دكتوراه غير منشوره).كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الخشني، محمد.(١٤١٥). قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، (تحقيق عزت الحسيني). القاهرة: مكتبة الخانجي.

- ابن خلدون، عبد الرحمن.(١٤٢١). مقدمة ابن خلدون، (تحقيق خليل شحادة). بيروت: دار الفكر.
- الخطيب البغدادي، أحمد.(١٣٩٥). الرحلة في طلب الحديث،(تحقيق نور الدين عتر).بيروت:دار الكتب العلمية.
- الخطيب البغدادي، أحمد.(د.ت). تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ديورَانت،ويليام.(١٩٨٨). قصة الحضارة. ج١٣،(ترجمة زكي نجيب وآخرين). بيروت:دار الجيل.(العمل الأصلي نشر في عام ١٩٦٥).
- الديوه جي، سعيد.(١٤٠٩). ابن مسكويه. في مكتب التربية العربي لدول الخليج. (محرر). من أعلام التربية العربية الإسلامية. (ص ص ٢٢١-٢٤٤).الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- الربابعة، فراس.(٢٠١٠). المنهاج التربوي الإسلامي في مراحل التعليم الأولى في القرنين الرابع والخامس الهجريين(رسالة دكتوراه غير منشوره). كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.
- ريبيرا، خوليان.(١٩٩٤) التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، (ترجمة الطاهر مكي). القاهرة:دار المعارف. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٢٥).
- السامرائي، حسام الدين.(١٩٨٩). المدرسة مع التركيز على النظاميات. في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.(محرر). التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات. (ص ص ٣٢٩-٣٦٣). عمان: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.
- السبكي، تاج الدين، علي.(١٤١٣). طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو). مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن سينا، الحسين.(د.ت). القانون في الطب(مخطوط).
- السيوطي، جلال الدين. (١٩٧٧). تاريخ الخلفاء، ج١،(تحقيق إبراهيم صالح). بيروت: دار صادر.
- شلبي، أحمد.(١٩٨٢). التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها-تاريخها. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- شلبي، أحمد.(١٩٨٦). الفكر الإسلامي منابعه وآثاره. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- العامري،أبو الحسن.(١٤٠٨). الإعلام بمناقب الإسلام،(تحقيق أحمد غراب).الرياض:دار الأصالة للثقافة والنشر.
- عباس، إحسان.(١٩٨٩). التعليم في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع. في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.(محرر). التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات. (ص ص ١٧٧-١٩٤). عمان: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت.
- عبد العال، حسن.(د.ت). التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري. القاهرة: دار الفكر العربي.
- عبود، عبد الغني.(١٩٧٧). في التربية الإسلامية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- العمري، أكرم.(1409) الخطيب البغدادي. في مكتب التربية العربي لدول الخليج. (محرر). من أعلام التربية العربية الإسلامية. (ص ص ٣٢٥-٣٤٥).الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- علي، سعيد. (١٤١٢). اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- علي، عصام الدين.(١٩٨٣). بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة. الإسكندرية: منشأة معارف.
- فكري، أحمد.(١٩٨٣). قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- القيرواني، ابن أبي زيد.(د.ت). متن الرسالة،(جمع عبد المجيد الأزهري). بيروت: المكتبة الثقافية.
- متز، آدم.(د.ت). الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر نهضة الإسلام،(ترجمة محمد أبوريده). بيروت: دار الكتاب العربي. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٢٢).
- محمد، زهرة.(٢٠١٤). تصميم أنموذج مساءلة الأداء في النظام التربوي. سلطنة عمان: دار الخليج للنشر.

- المراكشي، عبد الواحد.(١٤٢٦). المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين،(تحقيق صلاح الدين الهواري). صيدا-بيروت: المكتبة العصرية.
- مرسي، محمد.(١٤٢٣). التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. القاهرة: عالم الكتب.
- ابن مسكويه،أحمد.(د.ت). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،(تحقيق ابن الخطيب).القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية.
- معتوق، رشاد.(١٤١٨). الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي(رسالة دكتوراه منشورة). جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- المقريزي، تقي الدين، أحمد.(١٩٩٨). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،(تحقيق محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي). مصر:مكتبة مدبولي.
- ابن منظور، محمد.(١٤٠٤). مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر،ج٣،(تحقيق رياض عبدالحميد). دمشق: دار الفكر.
- النعيمي، عبد القادر.(١٤١٠). الدارس في تاريخ المدارس،ج١،(تحقيق إبراهيم شمس الدين).بيروت:دار الكتب العلمية.
- أبو النصر، محمد.(٢٠٠٢).الأوقاف في بغداد العصر العباسي الثاني.القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- ابن كثير، إسماعيل.(١٤٠٨). البداية والنهاية، ج١١،(تحقيق علي شيري).بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الكيلاني، ماجد.(٢٠١٠). أهداف التربية الإسلامية. الأردن: دار العلم للنشر.

* * *